آمنتُ بِاللهِ وبرسولِهِ محمدٍ، وصدَّقْتُ بما جاء به، قال: فَضَرَبَ البَابَ فِي وَجْهِي، وقال: قَبَّحَكَ الله، وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ [٢٣٧].

خَبَرُ الصَّحِيفَةِ

تآمر المشركين على بني هاشم

قال ابن إسحاق: فلما رأتْ قريشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ قد نزلوا بَلداً أصابُوا به أَمْناً وقَرَاراً، وأَنَّ النَجَاشِيَّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لجأ إليه منهم، وَأَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ فَكَانَ هُوَ وحمزةُ بنُ عَبْدِ المطلبِ مَعَ رسول الله ـ ﷺ ـ وأصْحَابِهِ، وَجَعَلَ الإِسْلاَمُ يَفْشُو فِي القَبَائِلِ؛ اجتمعوا وائتمروا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَاباً يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي المُطَّلِبِ: عَلَى أَلاَّ يَنْكِحُوا إِلَيْهم، ولا يُنْكِحُوهُم، ولا يَبِيعُوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا عَلَى (٦٨/أ) ذَلِكَ، ثم عَلَّقوا الصحيفة في جَوْف الكعبة توكيداً على أَنْفُسِهِمْ، وكان كاتب الصحيفة مَنْصُور بن عِكْرِمَةَ بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَي (قال ابن هشام: ويقال النَّضْرَ بن الْحَارِث) فدعا عليه رسول الله ـ ﷺ ـ، فَشَلَّ بَعْضُ أصابعه.

قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازتْ بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طَالِبٍ بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شِعْبه، فاجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أَبُو لَهَب عبدُ العُزَّى بن عبد المطلب إلى قريش، فظاهرهم[1] [٢٣٨].

أبو لهب يخرج على إخوته بني عبد المطلب ويظاهر قريشاً ويفخر بذلك

قال ابن إسحاق: حدثني حسين بن عبد الله، أن أبا لهب لقي هِنْد بنتَ عُتْبَة بن ربيعة ـ حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً ـ فقال: يا بنت عتبة، هل نَصَرْتُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى، وفارقتُ من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة [٢٣٩].

---

[٢٣٧] إسناده ضعيف لجهالة شيوخ عبد الرحمن بن الحارث. وعبد الرحمن بن الحارث صدوق له أوهام ينظر «التقريب» (١/ ٤٧٦).

[٢٣٨] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١١٩ ـ ١٢٠) من طريق ابن إسحاق به.

[٢٣٩] ينظر «البداية والنهاية» (٣/ ١٢٠).

---

(١) ظاهَرَهم، معناه: عاونهم.

قال ابن إسحاق: وَحُدِّثتُ أنه كان يقول في بعض ما يقول: يَعِدني محمد أشياء لاَ أَرَاها: يزعم أنها كائنة بعد الموت، فَمَاذا وَضَعَ في يدي بعد ذلك؟ ثم ينفخ في يديه، ويقول: تبًّا لَكُما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١].

قال ابن هشام: تبت: خَسِرَتْ، والتَّبَابُ: الخَسَارُ، وقال حَبيبُ بن خِذْرة[١] الخارجي أحدُ بني هلال بن عامر بن صَعْصَعَةَ [من المنسرح]:

يَا طِيبُ إِنَّا فِي مَعْشَرٍ ذَهَبَتْ ... مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ وَالتَّبَبِ[٢]

وهذا البيت في قصيدة له.

شعر أبي طالب في مقاطعة قريش بني هاشم

قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت عَلَى ذلك قُرَيْشٌ وصنعوا فيه الَّذِي صَنَعُوا، قال أبو طالب [من الطويل]:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عَلَىٰ ذَاتِ بَيْنِنَا ... لُؤَيًّا وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً ... نَبِيًّا كَمُوسَىٰ خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْبِ؟

وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً ... وَلاَ خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ الله بِالْحُبِّ

وَأَنَّ الَّذِي أَلْصَقْتُمُ مِنْ كِتَابِكُمْ ... لَكُمْ كَائِنٌ نَحْساً كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ[٣]

أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَىٰ ... وَيُضْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً كَذِي الذَّنْبِ

وَلاَ تَتْبَعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا ... أَوَاصِرَنَا[٤] بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ

وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً[٥] وَرُبَّمَا ... أَمَرَّ عَلَىٰ مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ

فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَداً ... لِعَزَّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلاَ كَرْبِ[٦]

وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ ... وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالْقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ[٧]

---

(١) وقع في الرواية هنا على وجوه. فروي جدرة بجيم ودال مفتوحتين، وروي أيضاً جذْرَةُ بجيم مكسورة ودال ساكنة، وروي أيضاً خُذَّرَةُ بخاء معجمة مضمومة ودال ساكنة، وروي أيضاً خِذْرة بخاء معجمة مكسورة ودال ساكنة، وهكذا قيده الدارقطني. والدال فيه مهملة في هذه الوجوه كلها.

(٢) التَّبَار: الهلاك، يقال تَبَّرَه الله أي: أهلكه، والتَّبَبُ: قد فسره ابن هشام.

(٣) كراغِيَةِ السَّقْب: هو من الرغاء وهو أصوات الإبل، والسَّقْبُ: ولد الناقة، وأراد به هاهنا ولد ناقة صالح عليه السلام.

(٤) الأواصِرُ: أسباب القرابة والمودة.

(٥) حَرْباً عَواناً: أي قوتل فيها مراراً.

(٦) لِعَزَّاءَ: معناه لِشِدَّةٍ، وعض الزمان: شدته أيضاً.

(٧) السَّوَالِفُ: صفحات الأعناق، وأُتِرَّت، معناه: قطعت. والقُساسِيَّةُ: سيوف منسوبة إلى قساس وهو =

بِمُعْتَرَكٍ ضَيِّقٍ تَرَىٰ كِسَرَ الْقَنَا بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كَالشُّرْبِ[1]
كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ وَمَعْمَعَةَ الأَبْطَالِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ[2]
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ وأَوْصَىٰ بَنِيهِ بِالطِّعَانِ وَبِالضَّرْبِ؟[3]
وَلَسْنَا نَمَلُّ الْحَرْبَ حَتَّىٰ تَمَلَّنَا وَلاَ نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ
وَلٰكِنَّنَا أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَىٰ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ[4]

حكيم بن حزام يصل بني هاشم فيراه أبو جهل

فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِك سنتين أو ثلاثاً، حتى جَهِدُوا، لا يصلُ إليهم شيءٌ إلا سِرًّا، مستخفياً به من أراد صلتهم مِنْ قريشٍ، وقد كَانَ أَبُو جَهْلِ بن هشام ـ فيما يذكرون ـ لقى حكيم بن حزام بن خُوَيلد بن أَسَد معه غلامٌ يَحْمِلُ قَمْحاً يريد به عمته خديجة (٦٨/ب) بنت خويلد، وهي عندرسول الله ـ ﷺ ـ ومعه في الشعب، فتعلَّق به، وقال: أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بني هاشم؟ واللهِ لا تبرح أنت وطعامك حَتَّى أَفْضَحَكَ بِمكَّةَ، فجاءه أبو الْبَخْتَرِي بن هشام بن الحرث بن أسد، فقال: مَالَكَ وَلَهُ؟ فقال: يَحْمِلُ الطعامَ إلى بنِي هاشم، فقال أبو البختري: طعام كان لعمته عِنْدَهُ بعثت إليه أفتمنعه أَنْ يأتيها بطعامها؟ خَلِّ سَبِيلَ الرَّجُلِ، قال: فأبى أبو جهل، حَتَّى نَالَ أَحَدُهُما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لَحْىَ بعير فضربه به، فَشَجَّهُ، ووطئه وطئاً شَدِيداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله ـ ﷺ ـ وأصحابه فَيَشْمَتُوا بِهِمْ، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، مبادياً بأمرِ اللهِ، لا يتقي فيه أحداً مِنَ النَّاسِ.

فجعلتْ قريشٌ ـ حين منعه الله منها، وقام عَمُّهُ وَقَوْمُهُ من بني هاشم وبني المطلب دونه، وحَالُوا بينه وبينَ مَا أَرَادُوا مِنَ البَطْشِ به ـ يهمزونه ويستهزئونَ به، ويُخَاصِمُونَهُ، وَجَعلَ القرآنُ يَنْزِلُ في قريشٍ بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم، فمنهم مَنْ سُمِّي لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة مَنْ ذَكَرَ الله مِنَ الْكُفَّارِ.

= جبل فيه معدن الحديد.

(١) المُعْتَرَكُ: موضع الحرب، وضنكٌ وضيق: بمعنى واحد، والطُّخْمُ: التي في لونها سواد، ويعكفن: يُقِمْنَ ويلازمن، والشُّرْب: الجماعة من القوم يشربون.

(٢) الحَجَراتُ: النواحي، والمَعْمَعَةُ: الأصوات في الحرب وغيرها.

(٣) أَزْرَهُ، أي: ظهره.

(٤) الحَفائِظُ: جمع حفيظة وهي الغضب في الحرب، والنُّهى: العقول، والكُماةُ: الشُّجعان، والرُّعْبُ: الفزع. =

فكان ممن سُمِّي لنا مِنْ قريشَ ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب، وامرأته أَم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب، وإنما سمَّاها الله تعالى حَمَّالَةَ الحَطَبِ؛ لأنها كانت ـ فيما بلغني ـ تحمل الشَّوْكَ فَتَطْرَحُهُ على طَرِيق رسولِ الله ـ ﷺ ـ حيث يَمُرُّ، فأنزل الله تَعَالَى فِيهِمَا: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١ ـ ٥].

قال ابن هشام: الجيد: العنق؛ قال أعشى بني قيس بن ثعلبة [من الخفيف]:

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ... ـدٍ أَسِيلٍ تَزِينُهُ الأَطْوَاقُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

وجمعه أَجْيَادٌ، وَالمَسَدُ: شَجَرٌ يُدَقُّ كَمَا يُدَقُّ الكِتَّانُ فَيُفْتَلُ مِنْهُ حِبَالٌ؛ قال النابغة الذبياني (واسمه زياد بن عمرو بن معاوية) [من البسيط]:

مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا ... لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

وواحدته: مَسَدة.

أم جميل حمالة الحطب تحاول إيذاء رسول الله فيكفها الله عنه

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن أُمَّ جَمِيلٍ حَمَّالَةَ الحَطَبِ ـ حين سمعت ما نزل فيها

= وذكر السهيلي صدر البيت الأول من هذه الأبيات وعجز البيت الثالث وتعرض للأبيات في الروض الأنف وورد البيت الرابع منها في أساس البلاغة وليس في ديوانه.
ينظر: أساس البلاغة (حفر)، الروض الأنف (٢/ ١٠٩) وتنظر القصيدة في البداية والنهاية (٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

(١) عن جيدٍ أسيل: يعني الذي فيه طول، والأطواق: جمع طوق وهي القلادة هنا.
ويروى البيت هكذا:

يَوْمَ تُبْدِي لنا قُتَيْلةُ عن جِيـ ... ـدٍ تَلِيعٍ تَزِينُه الأَطْوَاقُ

ديوانه ص ٢٥٩، ولسان العرب ٨/ ٣٦ (تلع)؛ ومقاييس اللغة ٢/ ٣٥٢؛ ومجمل اللغة ١/ ٣٣٤؛ وأساس البلاغة (تلع)؛ وتاج العروس ٢٠/ ٣٩٨ (تلع).

(٢) الدَّخِيسُ: اللحم الكثير، والنَّحْضُ: اللحم، وبازلها: نابُها، والصَّرِيفُ: الصوت، والقَعْوُ: الذي تدور فيه البكرة إذا كان من خشب، فإن كان من حديد فهو خُطَّافٌ.
والبيت في ديوانه ص ١٦؛ وجمهرة اللغة ص ٥٧٨، ٧٤١، ٩٤٤؛ والدرر ٣/ ٧٦؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣١؛ وشرح الأشموني ٢/ ٥٠٧؛ والكتاب ١/ ٣٥٥؛ ولسان العرب ٩/ ١٩١ (صرف)، ٢٧٧ (قذف)، ١١/ ٥٢ (بزل)، ١٥/ ١٩١ (قعا)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٦/ ٧٧ (دخس)؛ ومجالس ثعلب ص ٣٢٠؛ وهمع الهوامع ١/ ١٩٣.

وفي زوجِها مِنَ القُرآن ـ أتت رسولَ الله ـ ﷺ ـ وهو جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ عِنْدَ الكَعْبَةِ ومعه أبو بَكْرِ الصِّدِّيقُ، وفي يدها فِهْرٌ[1] مِنْ حِجَارَةٍ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ـ ﷺ ـ، فَلاَ تَرَى إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، واللهِ لو وجدته لضربتُ بهٰذَا الفِهْرِ فَاهُ، أَمَا واللهِ إني لشاعرة؛ ثم قالت [من مجزوء الرجز]:

مُـذَمَّـمـاً عَـصَـيْـنَـا وَأَمْـرَهُ أَبَـيْـنَـا

وَدِيـنَـهُ قَـلَـيْـنَـا[2]

ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فقال أبو بكر: يَا رَسُولَ الله، أَما تَرَاهَا رَأَتْكَ؟ فقال: ما رأتني، لَقَدْ أَخَذَ الله بِبَصَرِهَا عَنِّي [٢٤٠].

قال ابن هشام: قولها «ودينه قَلَيْنَا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وكانت (٦٩/أ) قريش إنما تسمي رسول الله ـ ﷺ ـ مُذَمَّما، ثم يَسُبُّونه، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «أَلاَ تَعْجَبُونَ لِمَا صَرَفَ الله عَنِّي مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ، يَسُبُّونَ ويهجون مُذَمَّماً وَأَنَا مُحَمَّد» [٢٤١].

إيذاء أمية بن خلف للنبي وما نزل فيه من القرآن

وأمية بن خلف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، كان إذا رأى رسول الله ـ ﷺ ـ هَمَزَهُ

---

[٢٤٠] جاء هذا الحديث عن أسماء بنت أبي بكر وابن عباس.

حديث أسماء

أخرجه الحميدي (١/١٥٣ ـ ١٥٥) رقم (٣٢٣) والحاكم (٢/٣٦١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٩٥ ـ ١٩٦) كلهم من طريق سفيان عن الوليد بن كثير عن أبي الزبير عن أسماء بنت أبي بكر به وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٩٦) من طريق سعيد بن كثير عن أبيه عن أسماء به.

ـ حديث ابن عباس

أخرجه ابن أبي شيبة (١١/١٩٨) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (٢٠٦) من طريق عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه.

[٢٤١] أخرجه البخاري (٧/٢٤٦) كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ حديث (٣٥٣٣) وأحمد (٢/٢٤٤، ٣٤٠، ٣٦٩) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٤٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٢٥٢) من حديث أبي هريرة.

---

(١) الفِهْرُ: حجر على مقدار ملء الكف.

(٢) ودينَهُ قَلَيْنا، معناه: أبْغَضنا.

وَلَمَزَهُ، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١ ـ ٩].

قال ابن هشام: والْهُمَزة: الذي يَشْتُمُ الرَّجُلَ عَلاَنِيَةً، وَيَكْسِرُ عَيْنَهُ عليه، ويغمز به؛ قال حسان بن ثابت [من الوافر]:

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتَ لِذُلِّ نَفْسٍ ... بِقَافِيَةٍ تَأَجَّجُ كَالشُّوَاظِ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

وجمعه هُمَزاتٌ، واللُّمَزَة: الذي يَعِيبُ النَّاسَ سرًّا ويؤذيهم؛ قال رؤبة بن العجاج [من الرجز]:

فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمْزِي[2]

وهذا البيت في أرجوزة له.

وجمعه: لُمَزَاتٌ.

مقالة العاص بن وائل السهمي وما نزل فيها من القرآن

قال ابن إسحاق: و«العاص بن وائل السَّهْمِي»، كان خَبَّابُ بن الأَرَتِّ صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ قَيْناً بمَكةَ يَعْمَلُ السُّيوفَ، وكان قَدْ بَاعَ مِنَ العَاصِ بن وائل سُيُوفاً عملها له، حَتَّى إِذَا كَانَ لَهُ عليه مَالٌ، فجاء يتقاضاه، فقالَ له: يا خَبَّاب، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أَنَّ في الجنة ما ابْتَغَى أَهْلُهَا مِنْ ذَهَبٍ أو فِضَّة أو ثِيَابٍ أو خَدَمٍ؟ قال خباب: بَلَى، قال: فأَنْظِرْني إلى يوم القيامة يا خَبَّاب حتى أَرجع إلى تلك الدار فأقضيك هُنَالِكَ حَقُّكَ، فواللهِ لا تكونُ أنت وأصحابُكَ، يا خَبَّابُ، آثَرَ عند الله مني، ولا أعظم حظًّا في ذلك، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٧ ـ ٧٨] إلى قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾ [مريم: ٨٠] [٢٤٢].

---

[٢٤٢] أخرجه البخاري (٥/ ٤١ ـ ٤٢) كتاب البيوع: باب ذكر القين والحداد حديث (٢٠٩١) وفي (٥/ ٢١٣) كتاب الإجارة: باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب حديث (٢٢٧٥) =

---

(١) هَمَزْتُكَ: فسره ابن هشام، واختضعتُ، معناه: تذللت، وتأجَّجُ، أي: تتقد، والشُّواظ: لهب النار. والبيت من قصيدة له، ينظر: ديوانه ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢) ينظر: ديوانه ص (٦٤).

مقالة أبي جهل وما نزل فيها من القرآن

ولقي أبو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ، فيما بلغني، فقال له: واللهِ يا محمد لَتَتْرُكَنَّ سبَّ آلهتنا أو لَنَسُبَّنَّ إلٰهك الذي تَعْبُدُ، فأنزل الله تعالى عليه فيه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فذكر لي أن رسول الله ـ ﷺ ـ كَفَّ عن سَبِّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلَى اللهِ [٢٤٣].

النضر بن الحارث وما نزل فيه من القرآن

والنَّضر بن الحرث بن كَلَدة بن عَلْقَمةَ[1] بن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار بن قصي، كَانَ إذَا جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ مَجْلِساً فدعا فيه إلَى الله تَعَالَى، وتلا فيه الْقُرآنَ، وحَذَّر قريشاً ما أصابَ الأممَ الخالية، خَلَفَهُ في مَجْلِسِهِ إذَا قَامَ، فحدثهم عن رستم السِّنديذ[2] وعن اسفنديار وملوك فارس، ثم يقول: واللهِ ما محمد بأحْسَنَ حديثاً مِنِّي، وما حديثه إلاَّ أَسَاطِيرُ الأولين اكْتَتَبْتُهَا كما اكْتَتَبَهَا، فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان: ٥ ـ ٦] ونزل فيه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ [القلم: ١٥] ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية: ٧ ـ ٨] [٢٤٤].

قال ابن هشام: الأَفَّاكُ: الكَذَّابُ؛ وفي كتاب الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١٥٢﴾ [الصافات: ١٥١ ـ ١٥٢]، وقال رؤبة [من الرجز]:

مَا لأَمْرِيءٍ أَفْكَ قَوْلاً أَفْكَا[3]

= وفي (٥/ ٣٦٠) كتاب الخصومات: باب التقاضي حديث (٢٤٢٥) وفي (٩/ ٣٥٥) كتاب التفسير: باب قوله: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) حديث (٤٧٣٢)، (٤٧٣٣، ٤٧٣٤) ومسلم (٤/ ٢١٥٣) كتاب صفات المنافقين باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح حديث (٣٥، ٣٦/ ٢٧٩٥) والترمذي (٥/ ٣١٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة مريم حديث (٣١٦٢) والنسائي في «تفسيره» رقم (٣٤٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩١) كلهم من حديث خباب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[٢٤٣] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وإسناده منقطع. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

[٢٤٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٣٧) بسنده إلى ابن إسحاق.

---

(١) كذا وقع هنا والصواب: ابن علقمة بن كلدة.

(٢) السِّنديذ: بلغة فارس شعاع الشمس، وهم يَنسبون إليه كل جميل، وهو بذال معجمة.

(٣) ينظر ديوانه ص (١١٩).

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: وَجَلَسَ رَسُولُ (٦٩/ب) اللهِ ـ ﷺ ـ، يوماً فيما بلغني، مع الوليدِ بنِ المغيرةِ في المسجدِ؛ فجاء النَّضْرُ بن الحرث حَتَّى جَلَسَ معهم في المجلسِ، وفي المجلس غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فتكلم رسول الله ـ ﷺ ـ، فعرض له النضر بن الحرث، فكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أَفْحَمَهُ؛ ثُمَّ تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨ ـ ١٠٠] [٢٤٥].

قال ابن هشام: حَصَبُ جَهَنَّمَ: كُلُّ ما أُوقِدَتْ به؛ قال أبو ذؤيب الهذلي (واسمه خُوَيْلد بن خالد) [من الطويل]:

فَأَطْفِىءْ وَلاَ تُوقِدْ وَلاَ تَكُ مُخصِباً ... لِنَارِ الْعُدَاةِ أَنْ تَطِيرَ شَكَاتُهَا[1]

وهذا البيت في أبيات له.

ويروى:

.... «ولا تك مِخْضَأً»[2] ....

قال الشاعر [من الطويل]:

حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا ... وَمَا كَانَ لَوْلاَ حَضْأَةُ النَّارِ يَهْتَدِي

قال ابن إسحاق: ثم قَامَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَي السَّهْمِيُّ حتى جَلَسَ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزِّبَعْرَى: واللهِ ما قام النَّضْرُ بن الحرث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نَعبَدُ من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم؛ فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى: أما واللهِ لو وجدته لَخَصَمْتُه؛ فَسَلُوا محمداً أكلُّ ما يعبد من دون الله في جَهَنَّمَ مَعَ من عبده؟ فَنَحْنُ نعبد الملائكة؛ واليهودُ تعبد عُزَيْراً، والنصارى تعبد عيسى

[د ٢٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧٦) بسنده إلى ابن إسحاق. وينظر «البداية والنهاية» (٣/ ١١٠ ـ ١١١).

---

(١) ولا تَكُ مخصِباً: قد فسره ابن هشام، وشكاتُها: شدتها.
ويروى البيت هكذا:

فَأَطْفِىءْ ولا تُوقِدْ ولا تَكُ مِخضَأً ... لِنارِ الأعادي أنْ تطيرَ شَداتُها

ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ٢٢٣؛ ولسان العرب ١/ ٥٦ (حضأ)؛ وتاج العروس ١/ ١٩٤ (حضأ).

(٢) ولا تَكُ مِخضأً: والمِخضَأُ: العود الذي تحرك به النار وتلتهب. يقال: حضأت النار أحضؤها: إذا ألهبتها. قال الشاعر [من الوافر]:

وَنَارٍ قد حَضَأْتُ بُعَيْدَ وَهْنٍ ... بِدَارٍ ما أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا

ابن مريم، فعجب الوليد ومن كان معه في الْمَجْلِسِ من قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى، ورأوا أنه قد احْتَجَّ وخَاصَمَ، فذُكر ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ من قول ابن الزِّبَعْرَى، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مَنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِه».

فأنزل الله تعالى عليه في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٢]، أي: عيسى بن مريم وعزير ومن عبدوا من الأحْبَارِ والرُّهْبَانِ الذين مَضَوْا على طاعةِ اللهِ فاتخذهم مَنْ يَعْبُدهم مِنْ أَهْلِ الضلالة أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ.

ونزل فيما يذكرون أَنَّهُمْ يَعبُدُونَ المَلاَئِكَةَ، وأنها بَنَاتُ اللهِ: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩].

ونزل فيما ذكر مِنْ أَمْرِ عيسى بنِ مَرْيَمَ أَنَّه يُعْبَد من دون الله وعَجِبَ الوليد ومن حَضَرَه من حُجَّته وخصومته: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧] أي: يصدون عن أمرك بذلك من قولهم، ثم ذكر عيسى بن مريم فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٥٩ ـ ٦١] أي: ما وضعت على يديه من الآياتِ مِنْ إحياءِ الموتى وإبراء الأسقام، فكفى به دليلاً على عِلْمِ السَّاعَةِ، يقول: فلا تمترن بها ﴿وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١].

الأخنس بن شريق وما نزل فيه من القرآن

والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليفُ بني زهرة، وكَانَ مِنْ أشرافِ القَوْم، وممن يُسْتَمَع (٧٠/أ) منه، فكان يصيب من رسول الله ـ ﷺ ـ ويرد عليه، فَأَنْزَلَ الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم: ١٠ ـ ١١] إلى قوله تعالى: ﴿زَنِيمٍ﴾ ولم يقل: (زَنِيم) لعيب في نسبه؛ لأن الله لا يعيب أحداً بِنَسَبٍ، ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف، والزَّنِيمُ: العَدِيدُ لِلْقَوْمِ؛ وقَد قال الْخَطِيمُ التميميُّ في الجاهلية [من الطويل]:

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً ... كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ[1]

---

(١) ينظر: لسان العرب ١٢/٢٢٧ (زنم)؛ ولحسان بن ثابت في ديوانه؛ وتاج العروس (زنم)؛ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/٢٩؛ وأساس البلاغة (زنم).

مقالة الوليد بن المغيرة وما نزل فيها من القرآن

والوليد بن المغيرة، قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها؟ ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سَيِّدُ ثقيف؟ فنحن عظيما القريتين، فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغني: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١ ـ ٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] [٢٤٦].

أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط

وأبيُّ بن خلف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح، وعقبة بن أبي معيط، وكانا متصافيين، حَسَناً ما بينهما، فكان عُقْبَةُ قد جلس إلى رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، وسمع منه، فبلغ ذلك أبيًّا، فأتى عقبةَ، فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعتَ مِنْهُ؟ ثم قال: وَجْهِي من وجْهِكَ حَرَامٌ أنْ أُكَلِّمَكَ، واسْتَغْلَظَ له من اليمين، إن أنت جَلَسْتَ إليه أو سَمِعْتَ منه، أو لم تأته فتَتْفُل في وجهه، ففعل ذلك عدوُّ اللهِ عقبة بن أبي مُعَيْطٍ[1]، لعنه الله، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩] إلى قوله تعالى: ﴿لِّلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [٢٤٧].

ومشى أبيُّ بن خَلَف إلى رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ بعَظْمٍ بالٍ قد ارْفَتَّ فقال: يا محمد، أنت تزعَم أنَّ اللهَ يبعث هذا بعد ما أرَمَّ ثم فَتَّه بيده، ثم نفخه في الريح نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نَعَمْ أنَا أقُولُ ذَلِكَ، يَبْعَثُهُ اللهُ وَإيَّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ هٰكَذَا، ثُمَّ يُدْخِلُكَ اللهُ النَّارَ» فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٠] [٢٤٨].

الأسود والوليد وأمية والعاص

واعترض رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فيما بلغني، الأسودُ بن المطلب بن

---

[٢٤٦] ينظر «البداية والنهاية» (٣/ ١١٠ ـ ١١١).

[٢٤٧] ينظر «البداية والنهاية» (٣/ ١١١ ـ ١١٢) وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٦، ٢٠٨٧) والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦) عن ابن عباس.

[٢٤٨] أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٨) والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١) عن قتادة وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٧٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وينظر البداية والنهاية (٣/ ١١٢).

---

(١) قال النقاش في كتابه: ذكر أنه رجع بعد ما خرج من فيه إلى وجهه، فعاد فيه برصاً.

أسد بن عبد الْعُزَّى، والوليدُ بن المغيرة، وأُمَيَّةُ بن خلف، والعاصُ بن وائل السَّهْمي، وكانوا ذوي أسنان في قومهم؛ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فلْنَعْبُدْ ما تعبدُ، وتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ، فنشترك نحن وأنت في الأمر: فإنْ كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وَإِنْ كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١ ـ ٢] السورةَ كلَّها، أي: إنْ كُنْتُم لا تعبدون الله إلاَّ أن أَعْبُدَ ما تعبدونَ فلا حَاجَةَ لِي بذلك منكم، لكم دينكم جميعًا ولي ديني [٢٤٩].

أبو جهل بن هشام يفسر شجرة الزقوم

وأبو جهل بن هشام، لما ذكر الله شَجَرَةَ (٧٠/ب) الزَّقُّوم تخويفاً بها لهم قال: يا معشر قريش، هل تَدْرُون ما شَجَرَةَ الزَّقُّوم التي يخوِّفكم بها مُحَمَّدٌ؟ قالوا: لا، قال: عَجْوَة يثْرِبَ بِالزُّبْد[1]، والله لئن استمكنَّا منها لَنَتَزَقَّمَنَّهَا[2] تَزَقماً، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦] أي: ليس كما يقول [٢٥٠].

تفسير المهل

قال ابن هشام: المُهْلُ: كُلُّ شَيءٍ أَذَبْتَه مِنْ نُحَاسٍ أو رَصَاصٍ، أو ما أشبه ذلك، فيما أخبرني أبو عبيدة.

وبلغنا عن الحسن بن أبي الحسن، أنه قال: كان عبد الله بن مسعود والياً لِعُمَرَ بْن الخَطَّابِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الكُوفَةِ، وأنه أمر يوماً بفِضَّةٍ فأُذيبت، فجعلتَ تَلَوَّنُ ألواناً؛ فقال: هَلْ بالبابِ مِنْ أَحَدٍ؟ قالوا: نعم، قال: فأدْخِلُوهُمْ، فأُدخلوا، فقال: إنَّ أَدْنَى ما أنتم راءُونَ شَبَهاً بالمُهْلِ لهٰذا [٢٥١]؛ وقال الشاعر [من البسيط]:

---

[٢٤٩] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢١٤) من طريق ابن إسحاق حدثني سعيد بن ميناء مولى أبي البختري فذكره. وينظر «البداية والنهاية» (٣/ ١١٢).

[٢٥٠] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١) عن السدي ومجاهد. وأخرجه عبد بن حميد عن قتادة كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٧٧) وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم. وينظر «البداية والنهاية» (٣/ ١١٢).

[٢٥١] أخرجه بنحوه هناد بن السري في «الزهد» رقم (٢٨٢) والطبري في «تفسيره» (٢٥/ ٧٩) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٤٥) رقم (٩٠٨٢، ٩٠٨٣) عن ابن مسعود أنه أذاب فضة من بيت المال ثم =

---

(١) العَجْوَةُ: ضرب من التمر.

(٢) لَنَتَزَقَّمَنَّها، معناه: لنبتلعَنَّها.

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ الْمُهْلِ يَجْرَعُهُ يَشْوِي الْوُجُوهَ فَهُوَ فِي بَطْنِهِ صَهِرُ[1]

وقال عبد الله بن الزِّبِيرِ الأسديُّ [من الطويل]:

فَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ عَبْداً وَإِنْ يَمُتْ فَفِي النَّارِ يُسْقَى مُهْلَهَا وَصَدِيدَهَا

وهذا البيت في قصيدة له.

ويقال: إنَّ المُهْلَ صَدِيدُ الجَسَدِ.

بلغنا أن أبا بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه لما حُضِرَ أمر بثوبين لَبِيسَيْنِ يُغْسَلان فَيُكفَّن فيهما، فقالت، له عائشة: قَدْ أَغْنَاكَ الله يا أَبَتِ عَنْهُمَا، فَاشْتَرِ كَفَناً، فقال: إنما هي ساعةٌ حتى يصير إلى المهل [٢٥٢]، قال الشاعر [من الخفيف]:

شَابَ بِالْمَاءِ مِنْهُ مُهْلاً كَرِيهاً ثُمَّ عَلَّ الْمُتُونَ بَعْدَ النِّهَالِ[2]

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

ابن أم مكتوم يعرض للرسول ﷺ وهو يدعو الوليد بن المغيرة للإسلام

وَوَقَفَ الوليدُ بن المغيرة مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ورسولُ اللهِ ﷺ يكلمه، وقد طَمَعَ في إِسْلاَمِهِ، فبينا هو في ذلك إذ مَرَّ به ابن أُمّ مَكْتُوم الأَعْمَى، فكلّم رسولَ اللهِ ﷺ وجَعَلَ يَسْتَقْرِئُهُ الْقُرْآن، فَشَقَّ ذلك منه على رسولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى أَضْجَرَهُ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إِسْلاَمِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عليه انصرف عنه عَابِساً وتركه فأنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١ ـ ٢] إلى قوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٤] أي: إنما بعثتك بَشِيراً ونذيراً، لم

= أرسل إلى أهل المسجد: من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٢١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[٢٥٢] له شاهد من حديث عائشة. أخرجه البخاري (٣/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) كتاب الجنائز: باب موت يوم الإثنين حديث (١٣٨٧) وفيه: فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه به ردع من زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيها. قلت ـ أي عائشة ـ إن هذا خلق، قال: إن الحي أحق بالجديد من الميت إنما هو للمهلة.

---

(١) فهو في بطنه صهر، معناه: ذائب.

(٢) شاب: معناه خلط، والعَلَلُ: الشُّرب بعد الشُّرب، والمُتون: الظهور، والنِّهال: جمع نهل وهو الشرب الأول.

أخص بك أحداً دون أحدٍ، فلا تمنعه مِمَّن ابتغاهُ؛ ولا تَتَصَدَّ به لِمَنْ لاَ يُرِيدُهُ [٢٥٣].

قال ابن هشام: ٱبْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، واسمه عَبْدُ اللهِ، ويقال: عَمْرو.

ذكر من عاد من أهل الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

قال ابن إسحاق: وبلغ أَصْحَابَ رسولِ الله ﷺ الذين خرجوا إلى أَرْضِ الحبشةِ إِسْلامُ أَهْلِ مَكَّةَ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك؛ حتى إِذَا دَنَوْا من مكة بلغهم أَنَّ مَا كَانوا تَحَدثوا به مِنْ إِسْلاَمِ أَهْلِ مَكَّةَ كان باطلاً، فلم يدخل منهم أَحَدٌ إلا بِجِوَارٍ أو مُسْتَخْفِياً، فكان ممَن قدم عليه مَكَّةَ مِنْهُمْ فأقام بها حَتَّى هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ فَشَهِدَ مَعَهُ بَدْراً، ومن حبس عنه حَتَّى فَاتَهُ بَدْرٌ وَغَيْرُهُ، وَمَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ.

منهم من بني عَبْد شَمْس بن عَبْد مَنَاف بن قُصَيّ: عُثْمان بنُ عَفَّان بنِ أبي العاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمس، مَعَهُ امرأته رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس، معه امرأَتُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ.

---

[٢٥٣] ورد هذا عن عائشة وابن عباس وأنس.

ـ حديث عائشة

أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة عبس حديث (٣٣٣١) وابن حبان (١٧٦٩ ـ موارد) وأبو يعلى (٨/ ٢٦١) رقم (٤٨٤٨) والحاكم (٢/ ٥١٤) والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠) والواحدي في «أسباب النزول» (٨٤٥) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أنزل عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة اهـ.

وصححه ابن حبان. وصححه الحاكم أيضاً وقال: وقد أرسل جماعة عن هشام. قال الذهبي: وهو الصواب. أي أن الذهبي رحمه الله رجح المرسل على الموصول والمرسل الذي رجحه الذهبي هنا. أخرجه مالك كتاب القرآن: باب ما جاء في القرآن حديث (٨) وكذلك ابن سعد (٤/ ٢٠٨) من طريق هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً. وللحديث طريق آخر عن عائشة موصولاً.

أخرجه الحاكم (٣/ ٦٣٤) من طريق الشعبي عن عائشة.

ـ حديث ابن عباس

أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٤٩) بنحو حديث عائشة. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣١٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

ـ حديث أنس.

أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٤٨) ومن طريقه أبو يعلى (٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٢) رقم (٣١٢٣) عن معمر عن قتادة عن أنس به. وأخرجه أيضاً عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣١٤). وفي الباب مراسيل كثيرة. ينظر «تفسير الطبري» (٣٠/ ٥٠) و«الدر المنثور» (٦/ ٣١٤ ـ ٣١٥).

وَمِنْ حُلَفَائِهِمْ: عبدُ الله بنُ جَحْش بنِ رِئاب.

وَمِنْ (٧١/أ) بَنِي نَوْفَل بن عبد مناف: عُتْبَة بنُ غَزْوان، حليفٌ لهم من قيس عَيْلان.

وَمِنْ بَنِي أَسَد بن عَبْد الْعُزَّى بن قُصَيّ: الزُّبَيْرُ بنُ الْعَوَّام بنِ خُوَيلد بن أسَد.

وَمِنْ بني عَبْدِ الدَّارِ بن قصي: مُصْعبُ بنُ عُمَير بنِ هاشم بنِ عَبْد مَنَاف، وسُوَيْبطُ بنُ سَعد بنِ حَرْمَلة.

وَمِنْ بني عَبْد بن قُصَي: طُلَيْبُ بنُ عُمَير بنِ وَهْب بنِ أَبِي[1] كَبِير بنِ عَبْد.

وَمِنْ بني زهرة بن كلاب: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْف بنِ عَبْد عَوْف بن عَبْد بن الحرث بن زُهْرة؛ والمقْدَادُ بنُ عَمْرو حليف لهم؛ وعبد الله بن مَسْعود حليف لهم.

وَمِنْ بَنِي مَخْزوم بن يَقَظَة: أبو سَلَمة بْنُ عَبْدِ الأسد بنِ هِلال بنِ عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم، معه امْرَأَتُهُ أُمُّ سلمة بِنْتُ أبي أُمَيَّةَ بنِ الْمُغِيرة، وَشَمَّاسُ بنُ عُثْمَان بنِ الشَّريد بنِ سويد بنِ هَرْمي بنِ عامر بنِ مخزوم، وسَلَمَة بنُ هِشام بنِ الْمُغِيرة، حَبَسَه عَمُّه بمكة فلم يَقْدَمْ إلا بعد بَدْرٍ وأُحُدٍ والْخَنْدَقِ؛ وعَيَّاش بنُ أبي رَبِيعَةَ بْنِ المغيرةِ، هاجر معه إلى المدينةِ، ولحقَ بِه أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحرث بن هشام، فرجعا به إِلَى مَكَّةَ فَحَبَسَاهُ بِهَا حَتَّى مضى بدر وأحد والخندق.

وَمِنْ حلفائهم: عَمَّار بْنُ ياسر، يَشُكُّ فيه، أكان خرج إلى الحبشة أم لا؛ ومُعَتِّب بن عَوْف بن عامر من خُزَاعة.

وَمِنْ بَنِي جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب: عُثْمان بن مَظْعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح؛ وابْنُه السَّائب بن عثمان، وقُدَامة بن مَظْعون، وعبد الله بن مظعون.

وَمِنْ بَنِي سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب: خُنَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عَدِي؛ وهشام بنُ الْعاص بن وائل؛ حُبس بِمكة بَعْدَ هِجْرَةِ رسولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ بَعْدَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ والخَنْدَقِ.

وَمِنْ بَنِي عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَي: عَامِرُ بْنُ ربيعة حليف لهم، معه امرأته لَيْلَى بنتُ أبي حَثْمة بن غانم.

وَمِنْ بني عَامِر بن لؤي: عبد الله بن مَخْرَمَة بنِ عبد الْعُزَّى بنِ أبي قَيْس؛ وعبدُ الله بنُ سُهَيْل بنِ عَمْرو، وكان حبُس عن رسول الله ـ ﷺ ـ حين هَاجَرَ إلى المَدِينَةِ، حتَّى كَانَ يَوْمُ

---

(١) ليس وهب هنا بابن أبي كثير بل هو أخوه، وهما ويحيى أخوهما: بنو عبد بن قصي قاله ابن الدَّباغ وقد تقدم التنبيه عليه قبل هذا.

بَدْرٍ، فانحاز من المشركين إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَشَهِدَ مَعَهُ بَدْراً؛ وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، مَعَهُ ٱمْرَأَتُهُ أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ سُهَيل بن عَمْرو، والسَّكْرَان بن عَمْرو بن عبد شَمْس، معه امرأته سَوْدةُ بِنْتُ زَمْعة بن قيس، مَاتَ بمكَّةَ قَبْلَ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، فَخَلَفَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَى ٱمْرَأَتِهِ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعةَ.

وَمِنْ حلفائهم: سعدُ بنُ خَوْلة.

وَمِنْ بني الحرث بن فِهْر: أبو عُبَيْدة بنُ الْجَرَّاح، وهو عَامِرُ بْنُ عبدِ اللهِ بن الجراح، وعَمْرو بن الحرث بن زُهَير بن أبي شَدَّاد، وسُهَيْل بن بَيْضاء، وهو سهيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال، وعَمْرُو بن أبي سَرْح بن رَبيعة بن هِلال.

فجميع مَنْ قَدِمَ عليه مَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ ثَلاَثَةٌ وثلاثونَ رجُلاً.

وكان مَنْ دَخَلَ منهم بِجِوَارٍ، فيمن سُمِّيَ لنا: عثمانُ بن مَظْعون بن حَبيب الْجُمَحِيّ، دخل بجوار من الْوَليد بن المغيرة، وأبو سَلَمة بن عبد (٧١/ب) الأَسَد بن هِلال الْمَخزومي، دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب، وكان خَالَه، وأمُّ أبي سلمة بَرَّة بنت عبد المطلب.

قصة عثمان بن مظعون في رد جوار الوليد

قال ابن إسحاق: فأما عثمان بن مَظْعون فإن صالح بن إبراهيم بن عَبْد الرحمن بن عَوْف حدثني، عمن حدثه عن عثمان قال: لما رأى عثمانُ بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَلاَء، وهو يَغْدو ويَرُوح في أَمَانٍ مِنَ الوليدِ بنِ الْمُغِيرَةِ، قَال: واللهِ إِنَّ غُدُوِّي ورَوَاحي آمناً بجوارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ ديني يلْقَوْنَ مِنَ البَلاَءِ والأَذَى فِي اللهِ ما لا يصيبني لنَقْصٌ كبيرٌ في نَفْسِي، فَمَشى إلى الوليدِ بنِ المغِيرَةِ، فقال له: يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ، وقد رَدَدْتُ إليك جِوَارَكَ، قال له: لِمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحدٌ من قومي قال: لاَ، وَلَكِنِّي أَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ، ولا أريدُ أَنْ أستجيرَ بغيرِهِ، قال: فانْطَلِقْ إلى المسجد فَٱرْدُدْ عليَّ جِوَاري علانيةً كما أَجَرْتُكَ علانيةً، قال: فانطلقا، فخرجا حتى أَتَيَا الْمَسْجِدَ، فقال الوليد: هذا عثمانُ قد جاء يَرُدُّ عليَّ جِوَارِي، قال: صَدَق، قَد وَجَدْتُه وَفِيًّا كريمَ الْجِوار، ولكني قد أَحْبَبْتُ أَلاَّ أَستجيرَ بغَيْرِ اللهِ، فقد رَدَدْتُ عليه جِوَارَهُ؛ ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مَجْلس من قريش يُنْشِدُهم، فجلس معهم عثمان، فقال لَبِيدٌ [من الطويل]:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ ....

قال عثمان: صدقْتَ، قال [من الطويل]:

. . . . . وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ[1]

قال عثمان: كَذَبْتَ، نعيمُ الجنة لاَ يَزُولُ، قال لبيدُ بن ربيعة: يا معشر قريش، واللهِ مَا كَان يُؤْذَى جَلِيسُكُم، فمتى حَدَثَ هَذَا فِيكُم؟! فقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إن هذا سفيهٌ في سُفَهَاء مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا ديننا، فَلاَ تَجِدَنَّ في نَفْسِكَ مِنْ قوله، فرد عليه عُثْمَانُ حَتَى شَرِيَ أَمْرُهُما[2] فقام إليه ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عينه فَخَضَرها، والوليدُ بن المغيرة قريبٌ يَرَى ما بلغ مِنْ عُثْمَانَ، فقال: أَمَا واللهِ يَا ابْنَ أخي إِنْ كَانَت عَيْنُك عَمًّا أصابها لَغَنِيَّةً، لَقَدْ كُنْتَ فِي ذِمَّة مَنِيعَةٍ، قال: يقول عثمان: بَلْ واللهِ إِنَّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ لفقيرةٌ إِلى مِثْلِ مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللهِ: وَإِنِّي واللهِ لفي جوارِ مَنْ هو أعزُّ مِنْكَ وَأَقْدَرُ يا أبا عَبْدِ شَمْسٍ: فقال له الوليدُ: هَلُمَّ يا ابن أخي إن شِئْتَ إِلَى جِوَارِك فَعُدْ: فقال: لا [٢٥٤].

قصة أبي سلمة في جواره

قال ابن إسحاق: وأما أبو سَلمة بن عبد الأسَد، فحدثني أبي إسحق بن يَسَار، عن سلمة بن عبد الله بن عمر عن أبي سَلَمة، أنه حدثه، أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجالُ بني مَخْزوم، فقالوا: يا أبا طالب، مَا هَذَا؟ مَنَعْتَ منَّا ابنَ أخيك محمداً، فمالك ولصاحبنا تمنَعُهُ منَّا؟ قال: إنه استجارَ بِي، وهو ابن أختي، وَإِنْ أنا لم أَمْنَعْ ابنَ أختي لَمْ أَمْنَعْ ابن أخِي، فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أَكْثَرْتُم على هَذَا الشَّيْخ، ما تزالون تَتَواثَبون عليه فِي جِوَارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ، واللهِ لَتَنْتَهُنَّ عنه أوْ لَنَقُومَنَّ معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أرادَ، قال: فقالوا: بل ننصرف عَمَّا تكره يا أبا عُتْبَة، وكان

---

[٢٥٤] إسناده ضعيف لجهالة شيخ صالح بن إبراهيم وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠٣) من طريق ابن إسحاق به. وتنظر هذه القصة في «أسد الغابة» (٣/ ٥٩٠) و«صفة الصفوة» (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢) و«البداية والنهاية» (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) و«الإصابة» (٤/ ٢٢٥).

---

(١) ينظر: ديوانه ص ٢٥٦؛ وجواهر الأدب ص ٣٨٢؛ وخزانة الأدب ٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧؛ والدرر ١/ ٧١؛ وديوان المعاني ١/ ١١٨؛ وسمط اللآلى ص ٢٥٣؛ وشرح الأشموني ١/ ١١؛ وشرح التصريح ١/ ٢٩؛ وشرح شذور الذهب ص ٣٣٩؛ وشرح شواهد المغني ١/ ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ٣٩٢؛ وشرح المفصل ٢/ ٧٨؛ العقد الفريد ٥/ ٢٧٣؛ ولسان العرب ٥/ ٣٥١ (رجز)؛ والمقاصد النحويَّة ١/ ٥، ٧، ٢٩١؛ ومغني اللبيب ١/ ١٣٣؛ وهمع الهوامع ١/ ٣؛ وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٢٢١؛ وأوضح المسالك ٢/ ٢٨٩؛ والدرر ٣/ ١٦٦؛ ورصف المباني ص ٢٦٩؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٣١؛ وشرح عمدة الحافظ ص ٢٦٣؛ وشرح قطر الندى ص ٢٤٨؛ اللمع (ص ١٥٤)، وهمع الهوامع (١/ ٢٢٦)، والروض الأنف (٢/ ١٢٦).

(٢) حتى شَري أمرهما، معناه: تفاقم وتعاظم، يقال: شَرِيَ الشيء: إذا زاد.

لهم وليًا وناصراً على رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، فابقوا (٧٢/ أ) على ذلك، فَطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأنِ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، فقال أبو طالب يُحَرّضُ أبا لَهَب على نُصْرَتِهِ، ونُصْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ [من الطويل]:

إِنَّ امْـرَأً أَبُـو عُـتَـيْـبَـةَ عَـمُّـهُ ... لَفِي رَوْضَةٍ مَا إِنْ يُسَامُ الْمَظَالِمَا[1]

أَقُولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي؟ ... أَبَا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوَادَكَ قَائِمَا[2]

فَلاَ تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ خُطَّةً ... تُسَبُّ بِهَا إِمَّا هَبَطْتَ الْمَوَاسِمَا[3]

وَوَلِّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ ... فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لاَزِمَا

وَحَارِبْ فَإِنَّ الْحَرْبَ نَصْفٌ وَلَنْ تَرَىٰ ... أَخَا الْحَرْبِ يُعْطِي الْخَسْفَ[4] حَتَّىٰ يُسَالَمَا

وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً ... وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَانِماً أَوْ مُغَارِمَا

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... وَتَيْماً وَمَخْزُوماً عُقُوقاً وَمَأْثَمَا

بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ ... جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوا الْمَحَارِمَا

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نُبْزَىٰ مُحَمَّداً ... وَلَمَّا تَرَوْا يَوْماً لَدَى الشِّعْبِ قَاتِمَا[5] [٢٥٥]

قال ابن هشام: نُبْزَى: نُسْلَب.

قال ابن هشام: بقي منها بيت تركناه.

دخول أبي بكر في جوار ابن الدغنة ورد جواره عليه

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، كما حدثني محمد بن

---

[٢٥٥] إسناده ضعيف. سلمة بن عبد الله بن عمر قال فيه الحافظ في «التقريب» (١/ ٣١٧) مقبول. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١١٦ ـ ١١٧) من طريق ابن إسحاق به.

---

(١) يُسام: معناه يُكَلَّفُ.

(٢) السَّواد هنا: الشخص.

(٣) المواسِمُ: جمع موسم وهو الاجتماع في مواطن الحج المشهورة، وقد تكون المواسم عندهم: الإجتماع في أسواقهم المشهورة التي يجتمعون فيها كل عام مثل: عكاظ ومجَنَّة وأشباههما.

(٤) الخَسْفُ: الذُّلُّ.

(٥) نُبْزي: أي نسلب ونغلب عليه، والقاتم: المُسْوَدُّ من كثرة الغبار.

ويروى عجز هذا البيت هكذا:

..... ولـمَّـا نـطـاعـن دونـه ونـقـاتـل

ويروى البيت برواية أخرى: ـ

كـذبـتـم وحـق الله يـبـزى مـحـمـد ... ولـمـا نـطـاعـن دونـه ونـنـاضـل

ينظر: ديوانه (ص ٩٦)، ولسان العرب (نصل)، (بزا)، وتاج العروس (٦/ ١٣٠) (كذب)، (نضل)، (بزا)، تهذيب اللغة (١٣/ ٢٦٩)، وتنظر القصيدة في البداية والنهاية (٣/ ١١٦، ١١٧).

مسلم الزهري، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنهما، حين ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ، وَأَصَابَهُ فيها الأَذَى، وَرَأَى مِنْ تَظَاهُرِ قُرَيشٍ على رسول الله ـ ﷺ ـ وأَصْحَابِهِ مَا رَأَى؛ استأذَنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة، فَأَذِنَ لَهُ، فخرج أبو بكر مُهَاجِراً معه، حتى إِذَا سَارَ مِنْ مكَّة يَوْماً أو يومين لقيه ابن الدُّغُنَّةِ أخو بني الحرث بن بكر بن عبد مَنَاة بنِ كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأَحَابِيشُ: بنو الحرثِ بن عبد مناة بن كنانة والْهُونِ بن خُزَيمة بن مدركة وبنو الْمُصْطَلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسُمُّوا الأحابيش لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له الأحابيشِ بِأَسْفَلَ مَكَّةَ للحِلْف، ويقال: ابن الدغينة.

قال ابن إسحاق: وحدثني الزُّهْري، عن عُرْوة، عن عائشة، قالت: فقال ابن الدُّغُنَّة: أين يا أبا بكر؟ قال: أَخْرَجَني قومي، وآذَوْني، وضَيَّقُوا عليَّ، قال: وَلِمَ؟ فوالله إِنَّك لَتَزِينُ الْعَشِيرة، وتُعِينُ على النَّوائِب، وتَفْعَلُ الْمَعْرُوف، وتَكْسِبُ الْمَعْدومَ[1] ارْجِعْ وأنت في جِوَارِي؛ فَرَجَعَ مَعَهُ؛ حَتَّى إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ قَامَ ابن الدُّغُنَّة فقال: يا معشر قريشٍ؛ إِنِّي قد أَجَرْت ابن أبي قُحَافة؛ فلا يَعْرِضَنَّ له أحد إِلاَّ بخير؛ قالت: فَكَفُّوا عنه؛ قالت: وكان لأبي بكرٍ مسجدٌ عند باب دَارِهِ في بني جُمَح، فكان يُصَلي فيه؛ وَكَانَ رَجُلاً رقيقاً إذا قرى القرآن استبكى، قالت: فيقفُ عليه الصبيانُ والعبيد والنساء يُعْجَبُون لما يَرَوْن من هيئته، قالت: فَمَشَى رجالٌ من قريش إلى ابنِ الدُّغُنَّة فقالوا: يا ابن الدُّغُنَّة، إنك لم تُجْرِ هذا الرجل ليؤذِيَنَا؛ إنه رجل إِذَا صَلَّى وَقَرَأَ مَا جَاء به مُحَمَّدٌ يَرِقُّ ويبكي، وكانت له هيئة ونحو، فنحن نَتَخَوَّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتنا أَنْ يَفْتِنَهُمْ؛ فأْتِهِ فَمُرْه أن يَدْخل بيته فَلْيَصْنَع فِيه مَا شَاءَ؛ قالت: فمشى ابن الدُّغُنَّة إليه؛ فقال له: يا أبا بكر، إني لَمْ أُجِرْكَ لتؤذِيَ قَوْمَكَ، إنهم قد كرهوا مَكَانَكَ الَّذي أنت به وتأَذَّوْا بذلك منْك، فادخل بيتك فَاصْنَعْ فيه مَا أَحْبَبْتَ، قال: أَوَ أَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ (٧٢/ب) وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ؟ قال: فارْدُدْ عليَّ جِوارِي، قال: قد رَدَدْتُه عليك، قال: فقام ابن الدُّغُنَّة فقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ أَبِي قُحَافة قد رَدَّ عليَّ جِوَارِي، فشأنَكُم بِصَاحِبِكُمْ [٢٥٦].

---

[٢٥٦] إسناد جيد. وابن إسحاق صرح بالتحديث.

وأخرجه البخاري (٧/ ٦٣٦ ـ ٦٣٨) كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث (٣٩٠٥) وأحمد (٦/ ١٩٨، ٢١٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٩) والبيهقي في =

---

(١) قال ابن سراج: المعدوم: هنا المال النفيس.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدُ الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، قال: لقيه سفيهٌ من سُفَهاء قُرَيْشٍ، وهو عَامِدٌ إلى الكَعْبَةِ، فَحَثَا عَلَى رأسه تُراباً، قال: فمرَّ بأبي بكر الوليدُ بن المغيرة، أو العاص بن وائل، قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى مَا يَصْنَعُ هذا السفيه؟ قال: أنتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، قال: وهو يقول: أي رَبِّ، أيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ، أيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ، أيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَك [٢٥٧].

حَدِيثُ نَقْضِ الصَّحِيفَةِ

موالاة هشام بن عمرو لبني هاشم

قال ابن إسحاق: وَبنُو هَاشِم وبَنُو المُطَّلِبِ فِي مَنْزِلِهم الَّذِي تَعَاقَدَتْ فيه قريشٌ عليهم في الصحيفة التي كَتَبُوا، ثم إنه قَامَ فِي نَقْضِ تِلْكَ الصحيفةِ الَّتي تكاتبتْ فيها قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِم وبني المطلب نَفَرٌ من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أَحْسَنَ من بلاء هشام بن عَمْرو بن ربيعةَ بن الحرث بن حُبيب بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَي، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلة بن هاشم بن عبد مَنَاف لأمِّه، وكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكَانَ ذَا شَرَفٍ في قومه، فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشِّعب ليلاً قد أَوْقَرَهُ طعاماً، حتى إِذَا أقبل به فَمَ الشِّعب خَلَعَ خِطَامه[1] من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشِّعْبَ عليهم، ثُمَّ يأتي به قد أوقره بُرًّا فيفعل به مثل ذلك.

هشام بن عمرو يحرض زهير بن أبي أمية على نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زُهَيْر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم، وكانت أمُّه عاتكةَ بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تَأْكُلَ الطَّعَامَ وتَلْبَسَ الثِّيَابَ وتَنْكِحَ النِّسَاءَ وأخوالُكَ حيثُ قَدْ علمتَ لا يُبَاعُون وَلاَ يُبْتَاع منهم، ولا يَنْكِحُونَ ولا يُنْكحُ إليهم، أَمَا إِنِّي أَحْلِفُ باللهِ أنْ لَوْ كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دَعَوْتَهُ إلى مِثْلِ ما دعاكَ إليه منهم مَا أجَابَكَ إليه أبداً، قال: ويحك يا هِشَام!! فماذا

= «دلائل النبوة» (٢/ ٤٧١) كلهم من طريق الزهري به. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١١٧ ـ ١١٨) من جهة ابن إسحاق.

[٢٥٧] إسناده ضعيف لانقطاعه. القاسم بن محمد لم يدرك جده أبا بكر. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١١٨) من طريق محمد بن إسحاق.

---

(١) الخِطامُ: حبل يشد على مقدم أنف البعير.

أصنَعُ؟ إنما أنا رَجُلٌ وَاحِدٌ، واللهِ أَنْ لَوْ كان معي رجلٌ آخر لَقُمْت في نَقْضها حتى أنقضها؛ قال: قد وجدتَ رجلاً، قال: مَنْ هُوَ؟ قال: أنا، قال له زهير: أَبْغِنَا رَجُلاً ثالثاً.

هشام يحرض المطعم بن عدي

فذهب إلي الْمُطْعِم بن عدي، فقال له: يا مطعم، أَقَدْ رضيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافقٌ لقريشٍ فيه؟ أما واللهِ لَئِنْ أمْكَنْتُمُوهم من هذه لَتَجِدُنَّهَا إليها منكم سَرَاعاً، قال: ويحك!! فماذا أَصْنَعُ؟ إنما أنا رَجُلٌ وَاحِدٌ، قال: قد وجدتَ ثانياً، قال: مَنْ هُوَ؟ قال: أَنَا، قال: أبغنا ثالثاً، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زُهَيْر بن أبي أمية، قال: أَبْغِنَا رَابِعاً.

هشام يحرض أبا البختري بن هشام

فذهب إلى أبي الْبَخْتَري بن هشام، فقال له نحواً مما قال لمُطْعِم بن عَدي، فقال: وهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نَعَمْ، قال: مَنْ هو؟ قال: زُهَير بن أبي أميَّة والْمُطْعِم بن عدي وَأَنَا مَعَكَ، قال: أبغنا خامساً.

هشام يحرض زمعة بن الأسود بن المطلب

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن الْمُطّلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابتهم وحَقَّهم، فقال له: وهل علي هذا الأمر (٧٣/ أ) الذي تدعوني إليه من أَحَدٍ؟ قال: نعم، ثم سمي له القوم، فاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحَجُونِ[1] ليلاً بأعلى مَكَّةَ.

اجتماع الخمسة واتفاقهم على المجاهرة بنقض الصحيفة

فاجتمعُوا هُنَالِكَ، فأجمعوا أَمْرَهُم، وَتَعَاقَدُوا عَلى القِيَامِ في الصَّحِيفَة حَتَّى ينقُضُوهَا، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول مَنْ يَتَكَلَّمُ.

فلما أَصْبَحُوا غَدَوْا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمَيَّة عليه حُلَّة، فَطَافَ بالبيت سَبْعاً، ثم أقبلَ عَلَى النَّاسِ فقال: يا أَهْلَ مَكَّةَ، أنأكلُ الطعامَ وَنَلْبَس الثِّيَابَ وبنو هاشم هَلْكى لا يُبَاعون ولا يُبْتَاع منهم، واللهِ لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفةُ القاطِعَةُ الظَالِمَةُ، قال أبو جهل وكان في ناحية المسجدِ: كذبتَ واللهِ لا تُشَق، قال زمعة بن الأسود: أَنْتَ واللهِ أَكْذَبُ، ما رضينا كِتَابَهَا حيث كُتبت، قال أبو الْبَخْتَري: صدق زَمْعة، لا نرضَى ما كُتِبَ واللهِ فيها ولا نُقِرُّ به، قال المُطْعِمُ بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ

(١) الحَجونُ: موضع بأعلى مكة. وخَطْمُهُ: مقدمهُ.

إلى اللهِ منها ومما كُتِبَ فيها، وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك، قال أبو جهل: هذا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ تُشُوورَ فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالسٌ في ناحية المسجدِ، فقام الْمُطْعِمُ إلى الصحيفةِ ليَشُقَّها، فوجد الأرَضَة قد أكلتها إلاَّ «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» وكان كاتب الصحيفة منصورَ بن عِكْرِمة، فشَلَّتْ يَدُه، فيما يزعمون [٢٥٨].

قال ابن هشام: وقد ذكرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لأبي طَالِبٍ: يا عَمِّ، إنَّ الله قد سَلَّطَ الأرَضَة على صحيفة قريشٍ، فلم تَدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظُّلمَ وَالْقَطِيعَةَ والْبُهْتَانَ، فقال: أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا يَدْخُلُ عليك أَحَدٌ، ثم خرج إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبِرْنِي بِكَذَا وَكَذَا، فَهَلُمَّ صحيفَتَكُم: فَإِنْ كَانَتْ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخي فانْتَهُوا عَنْ قَطيعتَنَا، وانزِلُوا عَمَّا فيها، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً دفعتُ إليكم ابن أَخِي؛ فقال القَوْمُ: رَضِينَا، فتعاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَظَرُوا؛ فإذا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَزَادَهُم ذَلِكَ شرًّا؛ فعند ذَلِكَ صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ في نَقْضِ الصَّحِيفَةِ مَا صَنَعُوا [٢٥٩].

قال ابن إسحاق: فلما مُزِّقت الصحيفةُ وبَطَلَ ما فيها، قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النَّفَرِ الذين قاموا في نَقْضها يمدحهم [من الطويل]:

أَلاَ هَلْ أَتَىٰ بَحْرِيَّنَا صُنْعُ رَبِّنَا ... عَلَىٰ نَأْيِهِمْ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ؟[1]
فَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وَأَنْ كُلُّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ مُفْسَدُ
تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجَمَّعٌ ... وَلَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
تَدَاعَىٰ لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِقَرْقَرٍ[2] ... فَطَائِرُهَا فِي رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ
وَكَانَتْ كِفَاءً وَقْعَةٌ بِأَثِيمَةٍ ... لِيُقْطَعَ مِنْهَا سَاعِدٌ وَمُقَلَّدُ[3]
وَيَظْعَنُ أَهْلُ الْمَكَّتَيْنِ فَيَهْرُبُوا ... فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ[4]

---

[٢٥٨] ذكره بتمامه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١١٩ ـ ١٢١) من طريق ابن إسحاق. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥) مختصراً من طريق ابن إسحاق أيضاً.

[٢٥٩] ينظر «البداية والنهاية» (٣/ ١٢١).

---

(١) البَحريُّ هنا: يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر، وأرْوَدُ، معناه: أرفق. وتعرض السهيلي لشرح القصيدة وذكر بعضاً منها في الروض الأنف. ينظر: الروض (٢/ ١٢٨، ١٢٩).

(٢) القَرْقَرُ: اللين السهل.

(٣) المُقَلَّدُ: العنق.

(٤) يَظْعَنُ معناه: يرحل، والفرائص: جمع فريصة وهي: بضعة في مرجع الكتف ترعد إذا فزع الإنسان.

وَيُتْرَكُ حَرَّاثٌ يُقَلِّبُ أَمْرَهُ ... أَيُتْهِمُ فِيهَا عِنْدَ ذَاكَ وَيُنْجِدُ[1]

وَتَصْعَدُ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ كَتِيبَةٌ ... لَهَا حُدُجٌ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدُ[2]

فَمَنْ يَنْشَ مِنْ حُضَّارِ مَكَّةَ عِزُّهُ ... فَعِزَّتُنَا فِي بَطْنِ مَكَّةَ أَتْلَدُ[3]

نَشَأْنَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا قَلاَئِلٌ ... فَلَمْ نَنْفَكِكْ نَزْدَادُ خَيراً ونُحْمَدُ[4]

وَنُطْعِمُ حَتَّىٰ يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ ... إِذَا جَعَلَتْ أَيْدِي الْمُفِيضِينَ تُرْعَدُ[5]

جَزَى اللَّهُ رَهْطاً بِالْحَجُونِ تَتَابَعُوا ... عَلَىٰ مَلإٍ يَهْدِي لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ[6]

قُعُوداً لَدَىٰ خَطْمِ الْحَجُونِ كَأَنَّهُمْ ... مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمْجَدُ[7]

أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا مَشَىٰ فِي رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَخْرَدُ[8]

جَرِيءٌ عَلَىٰ جُلَّى الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ ... شِهَابٌ بِكَفَّيْ قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ[9]

مِنَ الأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... إِذَا سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ[10]

طَوِيلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... عَلَىٰ وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيُسْعَدُ[11]

عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ ... يَحُضُّ عَلَىٰ مَقْرَى الضُّيُوفِ وَيَحْشُدُ[12]

وَيَبْنِي لِأَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحاً ... إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي الْبِلاَدِ وَيَمْهَدُ[13]

أَلَظَّ بِهٰذَا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّإٍ ... عَظِيمِ اللِّوَاءِ أَمْرُهُ ثُمَّ يُحْمَدُ[14]

---

(١) حَرَّاثٌ معناه: مكتسب. (أيتهِمُ) معناها: يأتي تهامة وهي ما انخفض من أرض الحجاز. ويُنجد: يأتي نجداً وهو ما ارتفع من أرض الحجاز.

(٢) الأخشبان: جبلان بـ «مكة»، وكتيبةٌ: جيش، وحُدُج: كثرة. وأصل الحَدَج: صغار الحنظل والخشخاش، فشبَّه كثرتهم به، ومِرْهَدٌ: رمح لين ومن رواه: مِهْرَداً، فمعناه: الرُّمح الذي إذا طعن به وسَّع الخرق، ومن رواه: مزهداً بالزاي فهو ضعيف لا معنى له، إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق.

(٣) فمن يَنشَ: أراد ينشأ فحذف الهمزة. وأتْلَدُ معناه: أقدم.

(٤) الخِيْرُ: الكَرَم.

(٥) المُفِيضون، هنا: الضاربون بقداح الميسر.

(٦) الملأُ: جماعة الناس وأشرافهم.

(٧) المقاولة: الملوك.

(٨) رفرف الدرع: ما فضل من ذيلها، وأخْرَدُ: بطيء المشي لثقل الدرع التي عليه.

(٩) جل الخطوب: معظمها، والجُلَّى، أيضاً: الأمر العظيم.

(١٠) سِيمَ معناه: كلف، والخَسْفُ: الذل، ويَتَرَبَّدُ: يتغير إلى السواد.

(١١) النجاد: حمائل السيف.

(١٢) على مَقرى الضيوف، يعني: على طعامهم، والقِرَى: ما يصنع للضيف من الطعام.

(١٣) الأبناء: القبائل المختلطة.

(١٤) أَلَظَّ: لَزِمَ وألح، وفي الحديث: أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام: أي: ألزموا.

قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا ... عَلَىٰ مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ
هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِياً ... وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ
مَتَىٰ شُرِكَ الأَقْوَامُ فِي جُلِّ أَمْرِنَا ... وَكُنَّا قَدِيماً قَبْلَهَا نَتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيماً لاَ نُقِرُّ ظُلاَمَةً ... وَنُدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلاَ نَتَشَدَّدُ
فَيَالَ قُصَيٍّ لَكُمْ فِي نُفُوسِكُمْ ... وَهَلْ لَكُمُ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ؟
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ: ... لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ، أَسْوَدُ[1] [٢٦٠]

وقال حَسَّان بن ثابت يبكي الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيّ حين مات، ويذكر قيامه في نَقْض الصحيفة [من الطويل]:

أَيَا عَيْنُ فَابْكِي سَيِّدَ الْقَوْمِ وَاسْفَحِي ... بِدَمْعٍ وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَا[2]
وَبَكِّي عَظِيمَ الْمَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِمَا ... عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفاً لَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الدَّهْرَ وَاحِداً ... مِنَ النَّاسِ أَبْقَىٰ مَجْدُهُ الْيَوْمَ مُطْعِمَا
أَجَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا ... عَبِيدَكَ مَا لَبَّىٰ مُهِلٌّ وَأَحْرَمَا
فَلَوْ سُئِلَتْ عَنْهُ مَعَدٌّ بِأَسْرِهَا ... وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا
لَقَالُوا: هُوَ الْمُوفِي بِخُفْرَةِ جَارِهِ ... وَذِمَّتِهِ يَوْماً إِذَا مَا تَذَمَّمَا[3]
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ ... عَلَىٰ مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَعْظَمَا
وَآبَىٰ إِذَا يَأْبَىٰ وَأَعْظَمَ شِيمَةً ... وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا[4]

قال ابن هشام: قوله «كليهما» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وأما قوله «أجرتَ رسول الله ـ ﷺ ـ منهم» فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ لما انصرف عن أهل الطَّائِفِ ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونُصْرته صار إلى جِرَاءَ، ثم بعث إلى الأخنسِ بْنِ شَرِيق ليُجيرَهُ، فقال: أنا حليفٌ والحليفُ لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عَمْرو، فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كَعْب، فبعث إلى المُطْعِم بن

---

[٢٦٠] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢) عن ابن إسحاق.

---

(١) أَسْوَدُ: هنا اسم رجل، وأراد يا أسود، وهو مثل يضرب للقادر على الشيء ولا يفعله، وينظر: البداية والنهاية (٣/ ١٢١، ١٢٢).

(٢) اسفحي أي: أسيلي الدمع وإن أنزفته. أي: أنْفَذْتِهِ، ومشاعر الحج هي: مناسكه المشهورة.

(٣) الخُفْرَة هنا: العهد، وتذمم أي: طلب الذمة، وهي العهد.

(٤) شِيمَةً، أي: طبيعة. وينظر: ديوانه ص (٢٤٣)، والبداية والنهاية (٣/ ١٦٩). ويروى البيت الثالث من هذه الأبيات هكذا [من الطويل]: =

عَدِيّ، فأجابه إلى ذلك، ثم تسلّح المطعم وأهلُ بيته وخرجوا حتى أتوا المسجدَ، ثم بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِ ٱدْخُلْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى عنده ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلى مَنْزِلِه، فذلك الذي يعني حسان بن ثابت [٢٦١].

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً يمدح هشام بن عَمْرو لقيامه في الصَّحيفة [من الكامل]:

هَلْ يُوفِيَنَّ بَنُو أُمَيَّةَ ذِمَّةً ... عَقْداً كَمَا أَوْفَى جِوَارُ هِشَامِ؟
مِنْ مَعْشَرٍ لاَ يَغْدِرُونَ بِجَارِهِمْ ... لِلْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبِ ٱبْنِ سُحَامِ
وَإِذَا بَنُو حِسْلٍ أَجَارُوا ذِمَّةً ... أَوْفَوْا وَأَدَّوْا جَارَهُمْ بِسَلاَمِ

وكان هشام أخا سُحَامٍ

قال ابن هشام: ويقال سخام.

إِسْلاَمُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ[1]

قال ابن إسحاق: وكان رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ عَلَى مَا يَرَى مِنْ قَومه ـ يَبْذُل (٧٤/ أ) لهم النَّصِيحَةَ، ويَدْعُوهُم إِلى النَّجَاةِ مِمَّا هُمْ فيه، وجعلت قريشٌ حين مَنَعَه الله منهم يُحَذِّرونَهُ النَّاسَ ومَنْ قَدِم عليهم مِنَ العَرَبِ.

وكان الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسيُّ يُحَدِّث أنه قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بها، فمشى إليه رجال مِنْ قريش، وكان الطُّفَيْلُ رجلاً شريفاً، شاعراً، لَبِيباً، فقالوا له: يا طُفَيْلُ، إنك قدِمْتَ بلادَنَا، وهَذَا الرَّجُلُ الذي بين أظْهُرِنَا قد أعْضَلَ[2] بنا، وقد فَرَّقَ جماعتنا، وشتَّت

---

[٢٦١] ينظر «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٤٧).

= وَلَوْ أَنَّ مجداً أَخْلَدَ الدَّهْرَ واحداً ... من الناس أبقى مَجْدُهُ الدهرَ مُطْعِمَا

ينظر: الإشتقاق ص ٨٨؛ وتخليص الشواهد ص ٤٨٩؛ وتذكرة النحاة ص ٣٦٤؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٧٥؛ ومغني اللبيب ٢/ ٤٩٢؛ والمقاصد النحويّة ٢/ ٤٩٧؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٣٨، ٧٩٦؛ وشرح الأشموني ١/ ١٧٨؛ وشرح ابن عقيل ص ٢٥١.

(١) ينظر: أسد الغابة ت ٢٦١٣، الاستيعاب ت ١٢٨١، طبقات ابن سعد ١٠٤/ ١٧٥، طبقات خليفة ١١٤/ ١٣، تاريخ خليفة ١١١، الجرح والتعديل ٤/ ٤٨٩، ابن عساكر ٨/ ٢٧٥، العبر ١/ ١٤، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٦٢، الإصابة ٣/ ٤٢٢. وينظر: الروض الأنف (٢/ ١٢٩).

(٢) قد أَعْضَلَ بنا، أي: اشتدَّ أمره. يقال: أعضل الأمر: إذا اشتد ولم يوجد له وجه ومنه: الداء المعضل.

أَمْرَنَا، وإنما قولُه كالسِّحرِ؛ يُفَرِّقُ بين الرجلِ وبين أبيه، وبين الرجلِ وبين أخيهِ، وبين الرجلِ وبين زوجتهِ، وإنا نَخْشى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكِ ما قد دَخَلَ عَلَيْنَا، فلا تُكَلِّمْه، ولا تَسْمَعَنَّ منه شَيْئاً، قال: فواللهِ ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألا أسمعَ منه شيئاً ولا أُكَلِّمَهُ، حتى حشوتُ في أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إلى المسجدِ كُرْسُفاً[1] فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وَأَنا لا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ، قال: فَغَدَوْتُ إلى المسجدِ فإذا رسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّي عند الكَعْبَةِ، قال: فَقُمْتُ منه قريباً، فَأَبَى الله إلاَّ أَنْ يُسْمِعَنِي بعضَ قوله، قال: فَسَمِعْتُ كَلاَماً حَسناً، قال: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاثُكْلَ أمّي، والله إني لرجل لَبِيبٌ شاعرٌ ما يَخْفى عليَّ الْحَسَنُ مِنَ القَبيح، فما يمنعني أَنْ أَسْمَعَ من هذا الرجل ما يقولُ؟ فإنْ كَانَ الذي يأتي به حسناً قبلتُه، وَإِنْ كَانَ قبيحاً تركتُهُ، قال: فَمكَثْتُ حتى انصرف رسولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، فَأَتْبَعْتُه حتى إِذَا دَخَلَ بيته دخلتُ عليه، فقلت: يا محمد، إِنَّ قومكَ قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فواللهِ ما بَرِحُوا يُخَوِّفُونني أَمْرَكَ حتى سَدَدْتُ أذني بكُرْسُفٍ لئلا أسمع قولَك، ثُمَّ أبى الله إلاَّ أَنْ يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعْرِضْ عليَّ أَمْرَكَ، قال: فعرض عليَّ رسولُ الله ﷺ الإِسْلاَمَ، وتلا عَلَيَّ القرآن، فلا واللهِ ما سمعتُ قولاً قَط أَحْسَنَ مِنْهُ، ولا أَمراً أَعْدَلَ منه، قال: فأسلمتُ، وشَهدتُ شَهَادَةَ الحَقِّ، وقلتُ: يا نبيَّ اللهِ، إني امرؤ مُطَاعٌ فِي قَومي، وَأَنا راجعٌ إليهم، وداعيهم إِلَى الإِسلاَمِ، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تكونُ لِي عَوْناً عليهم فيما أدعوهم إليه، قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً» قال: فَخَرَجْتُ إلى قَوْمِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ تُطْلعني على الحاضِرِ[2] وقع نورٌ بين عَيْنَيَّ مثلُ الْمِصْبَاحِ، قال: قلتُ: اللَّهُمَّ في غير وجهي، إني أخشى أن يَظُنُّوا أنها مُثْلَة وَقَعَتْ في وجهي لفراقي دِينَهُم، قال: فَتَحَوَّلَ فوقع في رَأْسِ سَوْطي، قال: فجعل الحاضِرُون يَتَرَاءَوْنَ ذلك النُّورَ في سَوْطي كالقنديلِ المعلَّقِ، وأنا أهبِطُ إليهم من الثَّنِيَّة، قال: حَتَّى جِئْتُهُمْ، فَأصبحتُ فيهم، قال: فلما نزلت أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ قال: فقلتُ: إِلَيْكَ عَنِّي يا أَبَتِ، فلستُ منك ولستَ مني، قال: لِمَ يا بُنَيَّ؟ قال: قلتُ: أسلمتُ وتابعتُ دينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قال: أيْ بُنَيَّ فَدِيني دِينُكَ، قال: فقلتُ (٧٤/ب): فاذهبْ فاغتسلْ وطَهِّرْ ثيابَكَ ثم تَعَالَ حَتَّى أُعَلِّمَكَ ما عُلِّمْتُ، قال: فَذَهَبَ فاغتسلَ وَطَهَّرَ ثيابَهُ، قال: ثُمَّ جاء فَعَرَضْتُ عليه الإِسلامَ فَأَسْلَم، ثم أتتني صاحبتي، فقلتُ: إليكِ عني فلستُ منكِ ولستِ مِنِّي، قالت: لِمَ بأَبِي أنتَ وأمّي؟ قال: فَرَّقَ بيني وبينك الإِسْلاَمُ، وتابعتُ دينَ محمدٍ ﷺ، قالتْ: فديني

---

(١) الكُرْسُفُ: القُطْنَ.

(٢) الثنِيَّةُ: الفُرْجَةُ بين جبلين، والحاضر: القوم النازلون على الماء.

دينُك، قال: قلتُ: فاذهبي إلى حَنى ذي الشرَي (قال ابن هشام: ويقال حِمَي ذِي الشرَي) فَتَطَهَّري منه؛ وكان ذُو الشُّرَي صَنَماً لدَوْس وكان الْحِمَى حِمىً حَمَوْهُ له، به وَشَلٌ[1] من ماء يَهْبِطُ مِنْ جَبَلٍ، قال: قالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصِّبْيَة من ذي الشري شيئاً؟ قال: قلتُ: لا أنا ضَامنٌ لذلك، قال: فَذَهَبَتْ فَاغْتَسَلَتْ، ثمَّ جَاءَتْ فعرضتُ عليها الإسْلاَمَ، فأَسْلَمَتْ، ثم دعوتُ دَوْساً إِلَى الإِسْلاَمِ، فأَبْطَؤُا عليَّ، ثم جئتُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فقلتُ له: يَا نَبيَّ اللهِ، إِنَّه قَدْ غلبني على دَوْسٍ الرنا فادْعُ الله عليهم، فقال: «اللَّهُمَّ اْهدِ دَوْساً، ارْجِعْ إِلى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ» قال: فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أدعوهم إِلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ ومَضَى بدر وأحد والخندق، ثم قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ معي مِنْ قَومِي وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ، حَتَّى نَزَلْتُ المدينة بسبعين أو ثمانِين بيتاً من دَوْس، ثم لحقنا برسولِ اللهِ ﷺ بخَيْبَر فأَسْهَم لنا مَعَ المسلمينَ، ثم لم أزلْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، حتَّى إذا فَتَحَ الله عليه مَكَّةَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْعَثْنِي إِلى ذي الْكَفين (صنَمِ عمرو بن حُمَمة) حتَّى أحرقه.

قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طفيل يُوقِدُ عليه النَّار، ويقول [من الرجز]:

يَـا ذَا الْـكَـفَـيْـنِ لَـسْـتُ مِـنْ عِـبَـادِكَـا مِـيـلاَدُنَـا أَقْـدَمُ مِـنْ مِـيـلاَدِكَـا[2]

إِنِّـي حَـشَـوْتُ الـنَّـارَ فِـي فُـؤَادِكَـا

رؤيا طفيل وتعبيره إياها

قال: ثم رَجَعَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فكان معه بالمدينةِ حتى قَبَضَ الله رسوله ﷺ، فلما ارْتَدَّتِ العربُ خَرَجَ مَعَ الْمُسْلِمينَ، فسار معهم حَتَّى فَرَغوا من طُلَيْحَة ومن أرض نجد كُلِّها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامةِ ومعه ابْنُهُ عَمْرو بن الطُّفَيْل، فرأى رؤيا وهو مُتَوَجِّهٍ إلى اليمَامةِ فقال لأصحابه: إِنِّي قد رأيت رؤيا فَاعْبُرُوها لي: رَأَيْتُ أنّ رأسي حُلِقَ، وأنه خَرَجَ من فمي طائرٌ، وأنه لقَيْتني امرأةٌ فأدخلتني فِي فَرْجِهَا، وأرى ابني يطلبني طَلَباً حَثِيثاً، ثم رأيته حُبِس عني، قالوا: خيراً، قال: أَمَّا أَنَا واللهِ فقد أَوَّلْتُها، قالوا: ماذا؟ قال: أما حلقُ رأسي فوضعه، وأما الطَّائِرُ الذي خَرَجَ من فمي فَرُوحِي، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرضُ تُحْفَر لي فأُغَيَّب فيها، وأما طَلَبُ ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني، فَقُتِلَ رحمه الله شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جِرَاحَةً شديدةً ثم اسْتَبَلَّ

---

(١) الوَشَل: الماء القليل.

(٢) ينظر: الأصنام (ص ٥٢).

منها[1] ثم قُتِلَ عام الْيَرْمُوك في زمن عمر رضي الله عنه شهيداً [٢٦٢].

أعشى بني قيس يفد على مكة ليسلم فتصده قريش

قال ابن هشام: حدثني خَلاَّد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم، أَنَّ أَعْشَى بني قيس بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب (٧٥/ أ) بن علي بن بَكْر بن وائل خَرَجَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يريدُ الإِسْلاَمَ، فقال يَمْدَحُ رَسُولَ اللهِ ﷺ [من الطويل]:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا؟[2]

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ، وَإِنَّمَا ... تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا[3]

وَلٰكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ ... إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا

كُهُولاً وَشُبَّاناً فَقَدْتُ وَثَرْوَةً ... فَلِلَّهِ هٰذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا؟

وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ[4] ... وَلِيداً وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا

وَأَبْتَذِلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِي ... مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا[5]

أَلاَ أَيُّهٰذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَّمَتْ[6] ... فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا

فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رُبَّ سَائِلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ الأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا[7]

---

[٢٦٢] ذكر القصة بتمامها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٥) وقال: هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا إسناد. وأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٧٧ ـ ٧٨) من طريق ابن إسحاق به.
قال الحافظ في «الإصابة» (٣/ ٤٢٣). وروى ابن إسحاق في نسخة من «المغازي» من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو في قصة إسلامه خبراً طويلاً... وذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد اهـ. وأخرجه ابن سعد (٤/ ١٨٠ ـ ١٨١) بنحوه وشيخ ابن سعد الواقدي: متروك.

---

(١) ثم استَبَلَّ منها، يقال: بلَّ وأَبَلَّ واسْتَبَلَّ المريضُ من مرضه إذا أفاق وبرىء.
(٢) الأَرْمَدُ: الذي يشتكي عينيه من الرَّمد، والسَّليمُ: الملدوغ، والمُسَهَّدُ: الذي منع النوم.
(٣) الخُلَّةُ: الصداقة، ويروى: صحبة، وهو معلوم، ومهدد: اسم امرأة وهو غير مصروف.
(٤) اليافع: الذي قارب الإحتلام.
(٥) العِيسُ: الإبل البيض الكرام يخالطها حمرة، والمراقيلُ: من الإرقال وهو السرعة في السير. تَغْتَلِي، أي: يزيد بعضها على بعض في السير، والنُّجَيرُ: موضع بحضرموت من اليمن، وصَرْخَدٌ: موضع بالجزيرة.
(٦) يَمَّمَتْ، أي: قصدت.
(٧) أصعَدَ، أي: ذهب.

أَجِدَّتْ بِرِجْلَيْهَا النَّجَاءَ وَرَاجَعَتْ ... يَدَاهَا خِنَافاً لَيِّنًا غَيْرَ أَخْرَدَا[1]

وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إِذَا خِلْتَ حِرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَصْيَدَا[2]

وَآلَيْتُ لاَ آوِي لَهَا مِنْ كَلاَلَةٍ ... وَلاَ مِنْ حَفىً حَتَّىٰ تُلاَقِيْ مُحَمَّدَا[3]

مَتَىٰ مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ٱبْنِ هَاشِمٍ ... تُرَاحِي وَتَلْقَىٰ مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَىٰ[4]

نَبِيٌّ يَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ، وَذِكْرُهُ ... أَغَارَ لَعَمْرِي فِي ٱلْبِلاَدِ وَأَنْجَدَا[5]

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ ... وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا

أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّ الإِلٰهِ حَيْثُ أَوْصَىٰ وَأَشْهَدَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَىٰ ... وَلاَقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَىٰ أَلاَّ تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... فَتُرْصِدَ[6] لِلْمَوْتِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا

فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لاَ تَقْرَبَنَّهَا ... وَلاَ تَأْخُذَنْ سَهْماً حَدِيداً لِتَفْصِدَا

وَلاَ النُّصُبَ[7] الْمَنْصُوبَ لاَ تَنْسُكَنَّهُ ... وَلاَ تَعْبُدِ الأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

وَلاَ تَقْرَبَنَّ حُرَّةً كَانَ سِرُّهَا ... عَلَيْكَ حَرَاماً فَٱنْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا[8]

وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَىٰ فَلاَ تَقْطَعَنَّهُ ... لِعَاقِبَةٍ وَلاَ الأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا

وَسَبِّحْ عَلَىٰ حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَىٰ ... وَلاَ تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدَا

وَلاَ تَسْخَرَنْ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ ... وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدَا[9]

---

(١) النَّجاء: السرعة، والخِناف: أن تلوي يديها في السير من النشاط، والأخرَد: الذي لا ينبعث في المشي ويعتقل.

(٢) عَجرفيَّة معناه: جفاء وتخليط في المشي، وهَجَّرت: مشت في الهاجرة وهي القائلة، والحِرباء: دُوَيبة أكبر من العظاءة تعلو أعلى شجر وتستقبل الشمس بوجهها حيث دارت، والأصْيَدُ: الذي لا يعطف عنقه تكبراً أو من داء أصابه.

(٣) لا آوي معناه: لا أُشفق ولا أرحم، ويروى: لا أرثي وهو بمعناه.

(٤) الندى بالنون: الجود، وبالياء: من اليد، وهي: النعمة هنا.

(٥) أغار أي: بلغ الغور وهو ما انخفض من الأرض، وأنجد: بلغ النجد وهو: ما ارتفع من الأرض.

(٦) تُرصِدُ، معناه: تُعِدُّ.

(٧) والنُّصُبُ: حجارة كانوا يذبحون لها.

(٨) السِّرُّ: النكاح هنا، والتأبد: التغرب والبعد عن النساء، ولذلك قيل للوحش: أوابد.

(٩) البائس هنا: الفقير، وذي ضرارة، أي: مضطر، ويروى: ذي ضرورة وهو بمعناه، ويروى أيضاً: ذي ضراعة، والضَّراعة: الذل، والضارع الذليل. وتنظر القصيدة في ديوانه ص ١٨٥ ـ ١٨٧ وذكر السهيلي بعضاً من هذه الأبيات في الروض الأنف.
ينظر: الروض (٢/ ١٣٦، ١٣٧). وينظر البيت الثاني في سر صناعة الإعراب (١/ ١٤٢٧)، المصنف (١/ ١٤٢).
وينظر البيت الخامس من هذه الأبيات: في تذكرة النحاة ص ٥٨٩، ٦٣٢؛ والدرر ٣/ ١٣٩؛ وشرح =

فَلَمَّا كَانَ بِمَكَّةَ أَوْ قَرِيباً منها اعْتَرَضَهُ بَعْضُ المشركينَ مِنْ قريشٍ، فسأله عَنْ أَمْرِهِ،

= التصريح ٢/ ٢١؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٧٧، ٧٥٧؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٦٠.

ويروى البيت السادس هكذا [من الطويل]:

وأَبْتَعِثُ العِيسَ المراسيلَ تَفْتَلي مسافة ما بَيْنَ النُّجَيْرِ وصَرْخدا

ينظر: لسان العرب ٥/ ١٩٥ (نجر)؛ وأساس البلاغة ص ٣٢٧ (غلو)؛ وتاج العروس ١٤/ ١٨٢ (نجر).

وينظر البيت السابع من هذه الأبيات في: تذكرة النحاة ص ٥٨٩، ٦٣٢؛ والدرر ٣/ ٣٣؛ وشرح شواهد المغني ص ٥٧٦؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٦٠، ٣٢٦؛ والمقتضب ٤/ ٢٥٩؛ وبلا نسبة في همع الهوامع ١/ ١٧٥. ويروى فيه «من» بدل «في».

وينظر البيت التاسع في: لسان العرب ٩/ ٩٧ (خنف)؛ وجمهرة اللغة ص ٦١٧؛ ومجمل اللغة ٢/ ٥٦؛ وديوان الأدب ٢/ ٢٦١؛ ومقاييس اللغة ٢/ ٢٢٤؛ وتاج العروس ٢٣/ ٢٨٥ (خنف). وروايته في اللسان ٣/ ١٤٧ (حرد) «غير أحردٍ»، وهذا خطأ.

ويروى صدر البيت الحادي عشر هكذا:

فآلَيْتُ لا أَرْثي لَهَا مِنْ كَلالَةٍ ....

ينظر: الأشباه والنظائر ٦/ ٩٠؛ وخزانة الأدب ١/ ١٧٧، ٣/ ٣٨؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٧٧؛ وشرح المفصل ١٠/ ١٠٠.

وينظر البيت الثاني عشر في: شرح شواهد المغني ص ٥٧٧، ٧٣٥، ومغني اللبيب (١/ ٣١٢)، والمقاصد النحوية (٣/ ٦٠)، ويروى ـ أيضاً ـ عجزه هكذا.

.... تريحي وتلقى من فواضله يدا

ينظر: العين (٣/ ٢٩٣).

ويروى صدر البيت الرابع عشر هكذا:

لَهُ نَافِلاتٌ ما يُغِبُّ نَوالُها ....

ينظر في: شرح شواهد المغني ص ٥٧٧، ٧٠٤؛ ومغني اللبيب ١/ ٢٩٣؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٦٠؛ وللأعشى أو للنابغة الجعدي في تخليص الشواهد ص ٢٢٧.

وينظر البيت الخامس عشر من هذه الأبيات من ديوانه: برواية فيها (حين أوصى) بدل: (حيث أوصى)، وينظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٠٧)، مجمل اللغة (١/ ٣٨٤).

ويروى عجز البيت التاسع عشر هكذا:

..... ولا تعبدِ الشيطانَ والله فاعبدا

ينظر في: الأزهية ص ٢٧٥؛ وتذكرة النحاة ص ٧٢؛ والدرر ٥/ ١٤٩؛ وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٧٨؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥؛ وشرح التصريح ٢/ ٢٠٨؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٧٧، ٧٩٣؛ والكتاب ٣/ ٥١٠؛ ولسان العرب ١/ ٧٥٩ (نصب)، ٢/ ٤٧٣ (سبح)، ١٣/ ٤٢٩ (نون)؛ واللمع ص ٢٧٣؛ والمقاصد النحويّة ٤/ ٣٤٠؛ والمقتضب ٣/ ١٢؛ وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٥٧؛ وأوضح المسالك ٤/ ١١٣؛ وجمهرة اللغة ص ٨٥٧؛ وجواهر الأدب ص ٥٧؛ ١٠٨؛ ورصف المباني ص ٣٢، ٣٣٤؛ وشرح الأشموني ٢/ ٥٠٥؛ وشرح قطر الندى ص ١٤٩؛ وشرح المفصل ٩/ ٣٩؛ ومغني اللبيب ص ٣٧٢؛ والممتع في الصريف ١/ ٤٠؛ وهمع الهوامع ٢/ ٧٨.

ويروى صدر البيت العشرون هكذا: =

فأخبره أنه جَاءَ يريدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ليُسْلم، فقال له: يَا أَبا بَصِيرٍ، إنه يُحَرِّمُ الزِّنا، فقال الأعشى: واللهِ إن ذلك لأمر مالي فيه مِنْ أَرَبٍ، فقال له: يا أبا بَصِيرٍ، فإنَّه يحرم الْخَمْرَ، فقال الأعشى: أما هذه فواللهِ إنَّ في النفس منها لَعَلاَلَاتٍ، ولكني مُنْصَرِفٌ فأَتَرَوَّى منها عامي هذا، ثم آتيه فَأُسْلِمَ، فانصرفَ، فمات في عامه ذلكَ، ولَمْ يَعُدْ إِلَى رسول الله - ﷺ - [٢٦٣].

أبو جهل حينما يرى النبي يأخذه الرعب

قال ابن إسحاق: وقد كان عدوُّ اللهِ أبو جهل بن هشام، لَعَنَهُ الله، مع عداوته لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وبُغْضِهِ إِيَّاهُ وشِدَّتِهِ عَلَيْهِ، يُذِلُّه الله له إِذَا رآهُ.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي، وكان واعية، قال: قدم رجل مِنْ أَزَاشٍ (قال ابن هشام: ويقال أراشة) بِإِبِلٍ له بمكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها، فأقبلَ الأَراشِيُّ حتى وقف على نادٍ من قريش ورسولُ اللهِ ﷺ في ناحية المسجِد جَالِسٌ، فقال: يا معشر قُرَيْشٍ، مَنْ (٧٥/ب) رَجُلٌ يُؤْدِيني[1] على أبي الحكم بن هشام فَإِنِّي رَجُلٌ غريبٌ ابنُ سبيلٍ، وقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي، قال: فقال له أهلُ ذَلِكَ المجلسِ: أترى ذلك الرَّجُلَ الجَالِسَ، لرسول الله - ﷺ -، وهم يَهْزَؤن به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل مِنَ العَدَاوَةِ، اذْهَبْ إليه فإنه يُؤْدِيكَ عليه، قال: فأقبل الأَرَاشِيُّ حَتَّى وقفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقال: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّ أَبا الحَكَم بن هِشَامٍ قد غلبني على حقٍّ لي قِبَلَهُ، وأَنَا غَرِيبٌ ابْن سَبِيلٍ، وقد سألتُ هؤلاء القوم عن رجلٍ يُؤْدِيني عليه يأخذُ لِي حَقِّي مِنْهُ، فَأَشَارُوا لِي إِلَيْكَ، فَخُذْ لي حقي منه يَرْحَمُكَ الله، قال: «انْطَلِقْ إِلَيْهِ» فقام

---

[٢٦٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) من طريق ابن هشام. وقال الحافظ ابن كثير: هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله فإن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير فالظاهر أن عزم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة.

= ولا تَـقْـرَبَـنَّ جـارةً إنّ سِـرَّهـا ....

ينظر: لسان العرب ٢/ ٦٢٥ (نكح) وكتاب العين ٧/ ١٩٠؛ وديوان الأدب ٢/ ١٥١؛ وتاج العروس ٧/ ١٩٦ (نكح)؛ وبلا نسبة في المخصّص ٥/ ١١؛ وتهذيب اللغة ٤/ ١٠٢؛ والمقتضب (٣/ ١٢).
ويروى البيت الثاني والعشرون هكذا:

وصلٌ على حِينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ولا تَـخْـمَـدِ الـمُـثْـرِيـنَ والله فـاحْـمَـدا

ينظر: لسان العرب ١٥/ ٤٢٨، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٦٤؛ وبلا نسبة في المخصص ١٣/ ٨٦.

(١) يُؤْدِيني معناه: يُعِينُني ويُنْصِفُني.

مَعَهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فلمَّا رَأَوْهُ قام معه قالوا لرجلٍ ممن معهم: اتبعه انْظُرْ ماذا يَصْنَعُ، قال: وخرج رسولُ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُ، فضربَ عليه بَابَهُ، فقال: مَنْ هَذَا؟ فقال: «محمد فاخْرُجْ إليَّ»، فخرج إليه وما في وجهه مِنْ رَائِحَةٍ[1]، قد انْتُقِعَ لَوْنُه[2] فقال: «أعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ»، فقال: نَعَمْ، لاَ تَبْرَحُ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ، قال: فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، ثمَّ انْصَرَفَ رسولُ اللهِ ﷺ، وقال للأراشي: «الحَقْ بِشَأْنِكَ»، فأقبل الأَرَاشِيُّ حَتَّى وقَفَ على ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فقال: جزَاهُ الله خيراً فقد واللهِ أَخَذَ لِي حَقِّي، قال: وَجَاءَ الرَّجُلُ الذي بَعَثُوا مَعَهُ، فقالوا: وَيْحَكَ!! مَاذَا رَأَيْتَ؟ قال: عَجَباً مِنَ العَجَبِ، واللهِ مَا هُوَ إلاَّ أَنْ ضَرَبَ عليه بَابَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَا مَعَهُ رُوحهُ، فقال له: أَعْطِ هذا حَقَّهُ، فقال: نَعَمْ لا تبرحُ حتَّى أُخرِجَ إليهِ حَقَّهُ، فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، قال: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أبو جَهْلٍ أَنْ جَاءَ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ! مَالَكَ! واللهِ ما رأينا مثل ما صَنَعْتَ قَطّ، قال: ويحكم!! والله ما هو إلاَّ أَنْ ضَرَبَ عليَّ بابي وسمعتُ صوتَه فَمُلِئْتُ مِنْهُ رُعْباً، ثم خَرَجْتُ إليه وإنَّ فوقَ رَأْسِهِ لَفَحْلاً مِنَ الإِبِلِ مَا رَأَيْتُ مِثلَ هامته ولا قَصَرَته[3] ولا أنيابه لَفَحْلٍ قَطّ، واللهِ لو أَبَيْتُ لأَكَلَنِي [٢٦٤].

ركانة بن عبد يزيد والنبي ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاقُ بن يَسَار، قال: كَانَ رُكَانَة بن عَبْد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد منافٍ أَشَدَّ قُرَيش، فخلا يوماً برسولِ اللهِ ﷺ في بعضِ شِعَاب مَكَّةَ، فقال له رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُكَانَةُ، ألا تَتَّقِي الله وتَقْبَلُ ما أدعوك إليه»، قال: إِنِّي لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ الذي تقولُ حَقٌّ لاتَّبَعْتُكَ، قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَفَرَأَيْتَ إنْ صَرَعْتُكَ أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ»؟ قال: نَعَمْ، قال: «فَقُمْ حَتَّى أُصَارِعَكَ» قال: فَقَامَ رُكَانَةُ إليه فَصَارَعَهُ، فلما بَطَشَ به رسولُ اللهِ ﷺ أَضْجَعَهُ وَهُوَ لاَ يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيئاً، ثُمَّ قال: عُدْ يا محمد، فَعَادَ، فَصَرَعَهُ، ثم قال: يَا مُحَمَّدُ، واللهِ إِنَّ هذا لَلْعَجَبُ، أَتَصْرَعُني؟ قال رسولُ الله ﷺ: «فَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُرِيكَهُ إِنِ اتَّقَيْتَ اللهَ واتَّبَعْتَ أَمْرِي» قال: مَا هُوَ؟ قال: «أدعو لك هذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَرَى فَتَأْتِيَنِي»، قال: ادْعُهَا، فَدَعَاهَا فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وقفتْ

---

[٢٦٤] إسناده ضعيف لإعضاله. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٩٢ ـ ١٩٤) من طريق ابن إسحاق به. وأشار إلى هذه القصة الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٢٨).

---

(١) ما في وجهه من رائحة، أي: من قطرة دم.

(٢) انتقع لونه، أي: تغير ويروى: امتقع بالميم وهو: بمعناه، وقد تقدم.

(٣) الهامةُ: الرأس، والقَصَرَةُ: أصل العنق، وقد تقدم.

بين يدي رسولِ الله ﷺ، قال: فقال لها: «ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكِ» قال: فَرجعتْ إِلَى مَكَانِهَا، قال: فذهب رُكَانَةُ إِلَى قَوْمِهِ فقال: يَا بني عَبْدِ مَنَافٍ، سَاحِرُوا بِصَاحِبُكُمْ أهلَ الأَرْضِ، فوالله ما رأيتُ أَسْحَرَ مِنْهُ قَطُّ، ثم أخبرهم بالذي رأى والَّذِي صَنَعَ [٢٦٥].

وفد نصارى الحبشة على رسول الله ـ ﷺ ـ ومقالة قريش لهم وردهم عليهم

قال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بمكة عشرونَ رَجُلاً، أو قريب من ذلك، من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجدِ، فجَلَسُوا إليه وكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوه، ورجالٌ من قريش في أنديتهم حَوْلَ الكَعْبَةِ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (٧٦/أ) عما أرادوا دعاهم رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الله، وتلا عليهم القرآنَ، فلمَا سَمِعُوا القرآن فَاضَتْ أعينُهم من الدَّمْعِ، ثم استجابوا لله وآمنوا به، وَصَدَّقُوهُ وَعَرَفُوا منه ما كان يُوصَف لهم في كتَابهم من أمرِهِ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفرٍ من قريش، فقالوا لهم: خَيَّبَكُم الله من رَكْبٍ، بعثكم مَنْ وراءكُمْ مِنْ أَهْلِ دينكم تَرْتَادُونَ لهم لتأتوهم بخبر الرجلِ، فلم تَطْمَئِنَّ مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أَحْمَقَ منكم، أو كما قالوا لهم، فقالوا لهم: سلامٌ عليكم؛ لا نُجَاهِلُكُمْ، لنا ما نحنُ عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ[1] أنفسنا خيراً، ويقال: إن النفر

---

[٢٦٥] ذكره من طريق ابن إسحاق الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩). وقال: هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان.

ولحديث مصارعة النبي ﷺ ركانة طريق آخر. أخرجه أبو داود (٤/ ٥٥) كتاب اللباس باب في العمائم حديث (٤٠٧٨) والترمذي (٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) كتاب اللباس: باب العمائم على القلانس حديث (١٧٨٤) والحاكم (٣/ ٤٥٢) وأبو يعلى (٣/ ٥) رقم (١٤١٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٨٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ١٧٥) رقم (٦٢٥٨) كلهم من طريق أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن علي بن ركانة عن أبيه به.

وقال البخاري: إسناده مجهول لا يعرف سماع بعضه من بعض. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وإسناده ليس بالقائم ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن ركانة.

وفي «الإصابة» (٢/ ٤١٣) قال ابن حبان: في إسناد خبره في المصارعة نظر. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٢٩)، قد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ثلاث مرات كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال: يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك وما كان أحدٌ أبغض إليَّ منك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ ورد عليه غنمه اهـ.

---

(١) لم نَألُ أنفسنا خيراً، أي: لم نقصرها عن بلوغ الخير، يقال: ما ألوت أن فعلت كذا وكذا؛ أي: ما قَصَّرت.

من النَّصَارَى من أهل نَجْرَانَ، فالله أعلم أي ذلك كان، فيقال والله أعلم: فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٣] إلى قوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] [٢٦٦].

قال ابن إسحاق: وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت، فقال لي: مَا زِلْتُ أَسْمَعُ مِنْ عُلَمَائِنَا أنهنَّ أُنْزِلْنَ في النَّجَاشِيِّ وأصحابه، والآياتِ من المائدة قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٣].

مشركو قريش يزعمون أن اتّباع الفقراء للنبي نقص في الدين

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إِذَا جَلَسَ في المسجدِ فَجَلَس إليه المستضعفونَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَبَّابٌ وَعَمَّارٌ وأبو فُكَيْهَة يَسَار مولى صَفْوان بن أمية بن محرث وصُهَيْبٌ وأشباههم من المسلمين هزأت بهم قريشٌ، فقال بعضهم لبعضٍ: هؤلاء أصحابُه كما تَرَوْنَ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهُدى والحَقِّ؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خَصَّهم الله به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٤].

ويزعمون أنه يتعلم من غلام نصراني

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ، فيما بلغني، كثيراً ما يَجْلِسُ عِنْدَ المرْوَة إلى مَبِيعَةِ غُلاَم نصراني يقال له: جبر، عَبْدٌ لابن الحضرمي، وكانوا يقولون: واللهِ ما يُعَلِّم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبرٌ النصرانيُّ غلامُ ابن الحضرمي، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣] [٢٦٧].

---

[٢٦٦] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٣٠٦ ـ ٣٠٧) من طريق ابن إسحاق. وينظر «البداية والنهاية» (٣/١٢٩).

[٢٦٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/١٢٩ ـ ١٣٠) عن ابن إسحاق. =

قال ابن هشام: يُلْحِدُونَ إليه: يميلون إليه، والإلحاد: المَيْلُ عَنِ الحَقِّ؛ قال رؤبة بن العجاج [من الرجز]:

إذ تَـبِـعَ الـضَّـحَّـاكَ كُـلُّ مُـلْـحِـدِ

قال ابن هشام: يعني الضَّحَّاك الخارجي، وهذا البيت في أُرجوزة له.

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق (٧٦/ ب): وكان العاص بن وائل السَّهْمِيُّ، فيما بلغني، إذا ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ قال: دَعُوه فإنما هو رجل أَبْتَرُ لاَ عَقِبَ لَهُ لَوْ قَدْ مَاتَ لقد انقطَعَ ذِكْرُهُ واسترحَتُمْ مِنْهُ، فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣] ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، والكوثر: العظيم [٢٦٨].

= وله شواهد كثيرة من حديث سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وخباب بن الأرت.

ـ حديث سعد

أخرجه مسلم (٤/ ١٨٧٨) كتاب فضائل الصحابة باب في فضائل سعد حديث (٤٥، ٤٦/ ٢٤١٣) والنسائي في «تفسيره» (١٨٣) وابن ماجه (٢/ ١٣٨٣) كتاب الزهد: باب مجالسة الفقراء حديث (٤١٢٨) عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» رقم (١٣١) والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٢٨) وأبو يعلى (٢/ ١٤١) رقم (٨٢٦) وابن حبان (٦٥٣٩) والحاكم (٣/ ٣١٩) والواحدي في «أسباب النزول» (٤٣١) عن سعد بن أبي وقاص في هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود فيهم.

ـ حديث خباب

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٨٣) كتاب الزهد: باب مجالسة الفقراء حديث (٤١٢٧) والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٢٧) والطبراني في «الكبير» (٣٦٩٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ١٥٧ ـ ١٥٨) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧) والواحدي في «أسباب النزول» (٤٣٢) عن خباب وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل».

ـ حديث ابن مسعود

أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٨) رقم (١٠٥٢٠) والواحدي في «أسباب النزول» (٤٣٣) من طريق كردوس عن ابن مسعود. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٤) وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة.

[٢٦٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٣٠) عن ابن إسحاق به. وأخرجه البيهقي في «البعث» (١٢٦) من طريق ابن إسحاق حدثني يزيد بن رومان فذكره مرسلاً وله شاهد عن ابن عباس. أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢١٢) وينظر «الدر المنثور» (٦/ ٤٠٤).

قال ابن إسحاق: قال لَبِيدُ بن رَبِيعَةَ الكلابيُّ [من الطويل]:

وَصَاحِبُ مَلْحُوبٍ فَجِعْنَا بِيَوْمِهِ ... وَعِنْدَ الرِّدَاعِ بَيْتُ آخَرَ كَوْثَرِ[1]

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وصَاحِبُ مَلْحُوبٍ: عَوْفُ بن الأخوص بن جعفر بن كلاب، مات بملحوب، وقوله: «وعند الرداع بيت آخر كوثر» يعني شُرَيْحَ بن الأخْوَص بن جَعْفَر بن كلاب، مات بالرداع، والكوثر: أراد الكثير، ولفظه مشتق من لفظ الكثير.

قال ابن هشام: قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان [من الطويل]:

وأَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوانَ طَيِّبٌ ... وَكَانَ أَبُوكَ ابْنَ الْعَقَائِلِ كَوْثَرَا[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حمارَ وَحْشٍ [من المتقارب]:

وَيَحْمِي الْحَقِيقَةَ إِذَا مَا احْتَدَمْـ ... ـنَ حَمْحَمَ فِي كَوْثَرٍ كَالْجِلاَلْ[3]

يعني بالكوثر: الْغُبَارُ الكَثِيرُ، شبهه لكثرته عليه بالجِلاَلِ، وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: حدثني جعفر بن عمرو (قال ابن هشام: هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرِي) عن عبد الله بن مسلم أخي محمد بن مسلم بن شِهَاب الزُّهْري، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ وقيل له: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا

---

(١) مَلْحوبٌ والرِّداعُ: مَوضعان.
وينظر: الروض الأنف (٢/ ١٤٧)، ويروى «بموته» بدل «بيومه». ينظر ديوانه ص ٥٢، ولسان العرب (بيت) ٥/ ١٣٣ (كثر)، ٨/ ١٢٣ (ردع)، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٨، وكتاب الجيم ٣/ ١٦٧، وتاج العروس ٤/ ٢٠٤ (حسب)، ٤/ ٤٥٩ (بيت)، ٢/ ٨٥ (ردع)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٥٨، والمخصص ٢/ ١٥٩.

(٢) وكان أبوك ابن العقائل. العقائل هنا: جمع عقيلة وهي ها هنا: المرأة الكريمة وأراد: من العقائل فحذف النون.
ينظر: ديوانه ١/ ٢٠٩؛ ولسان العرب ٥/ ١٣٣ (كثر)؛ وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٨؛ وجمهرة اللغة ص ١١٧٤؛ وأساس البلاغة (كثر)؛ وتاج العروس ١٤/ ١٨ (كثر)؛ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ١٦١؛ ومجمل اللغة ٤/ ٢١٦؛ والمخصص ٣/ ٣.

(٣) احتدمْنَ معناه: ألهبن الجري وأكثرنه، والجِلالُ: جمع جُلّ.

الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَ الله؟ قال «نَهْرٌ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى أيلة، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُوم السَّماءِ تَرِدُهُ طَيْرٌ لَهَا أَعْنَاقٌ كَأَعْنَاقِ الإِبِلِ» قال: يقول عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: إِنَهَا يَا رَسُولَ الله لَنَاعِمَةٌ، قال: «آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا» [٢٦٩].

قال ابن إسحاق: وقد سمعنا في هذا الحديث أو غيره أنه قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لاَ يَظْمأ أَبَداً».

قال ابن إسحاق: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الإِسْلاَم، وكلَّمهم فأَبْلَغَ إِلَيْهِمْ، فقال له زَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ، والنَّضْرُ بْنُ الحَرثِ، والأَسْوَدُ بْن عَبْدِ يَغُوثِ، وأبيُّ بْنُ خَلَف، والعاص بن وائلٍ: لَوْ جُعِلَ مَعَكَ يَا مُحَمّد مَلَك يُحَدِّث عنك النَّاسَ وَيَرَى مَعَكَ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٨ ـ ٩].

قال ابن إسحاق: ومَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ، فيما بلغني، بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وبأبي جهلِ بن هشام، فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠] [٢٧٠].

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه، طبع الجزء الأول من كتاب «سيرة النبي ﷺ» لأبي محمد عبد الملك بن هشام؛ ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثاني مفتتحاً بذكر الإسراء والمعراج، والله تعالى المسئول أن يعين على إكماله، بمنه وكرمه؛ هو المعين وعليه التكلان.

---

[٢٦٩] إسناده حسن. وأخرجه هناد بن السري في «الزهد» رقم (١٣٦) من طريق ابن إسحاق. وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٨٧): إسناده جيد وأخرجه الترمذي (٤/ ٦٨٠ ـ ٦٨١) كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في صفة طير الجنة حديث (٢٦٦٦) وأحمد (٣/ ٢٣٦) والنسائي في «التفسير» (٧٢٣) والحاكم (٢/ ٥٣٧) والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٠٩) من طرق عن أنس. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

[٢٧٠] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٣٠) عن ابن إسحاق به. وينظر «الدر المنثور» (٣/ ٥).